المقتطف

الجزء الثاني من المجلد السابع عشر بعد المئة

١ يوليو سنة ١٩٥٠ — ١٦ رمضان سنة ١٣٦٩

اليهود

كسلالة او شعب[1]

لسير ارنر كيث

الشعب اليهودي يختلف عن سائر الامم الكبرى بأن فكرة اتحاده ليست بناءً على الاقليم او الوطن، وانما يتحد اليهود على يقين انهم نوع من البشر ذو تقليد متقادم العهد، وذو عقيدة شعبية ودينية معاً. ان فكرة الجنسية عندهم مائعة تميل مع الريح، حيثما يذهبون تذهب جنسيتهم معهم (أينما كانوا هم يهود، اذا سألت واحداً منهم ما جنسيتك، قال أنا يهودي). ان فكرة الجنسية المبنية على الوطن أو الاقليم مرنة جداً هي مجبنية قابلة للحمل

أما شعور اليهود بالاعتزال والانفصال عن الامم الأخرى فهو شعور صلب. هو شعور «واقٍ من المطر» فقد قضى اليهود ٢٥ قرناً في العاصفة. ان طبيعة جنسيتهم المائعة القابلة للتنقل والشديدة المقاومة والاجتهاد، مكنتهم أن يفعلوا شيئاً لم يفعله أحد سواهم — مكنتهم أن يتغلغلوا بين جميع الامم بسلام. لانجد بلداً في أوروبا وغربي آسيا وشمالي أفريقيا أو في العالم الجديد خلواً من كنيس اليهود وطائفة يهودية مستقلة. وهكذا ترى

---

(١) نأخذ هذا المقال من كتاب «نظرية جديدة في التطور الانساني» الصادر حديثاً، يتعرف تلي في أحد المواضع

أن اليهود يختلفون عن سائر الأمم بكونهم لا وطن لهم ولا جماعة متكتلة في مملكة واحدة، بل هم مشتتون جماعات شتى منعزلة. اليهود يخافون أن تغرق جنسيتهم في الجنسيات الأخرى، بل يخافون أن تفنى في بحر الجنس البشري.

كثيرون من العامة، يهوداً وغير يهود، يترددون في اعتبار اليهود أمة. وصديقي المرحوم فليب مفوس صرّح برأي كثيرين من اليهود الانكليز حين كتب « انهم جماعة دينية ذات ولاء للدولة كسائر الجماعات الأخرى الدينية. والمستر مونتفيور اليهودي العلامة الانكليزي أكد القول بأن اليهود يعزلون أنفسهم لأجل دينهم. وليس غرضهم أن يخلّدوا سلالتهم بل دينهم، والذين كتبوا عن القومية Nationalism يذكرون اليهود صفة جماعة سلالية مختصة كأنها أمة بالمعنى الروحي. ودائرة المعارف اليهودية تسلّم بأن اليهود كانوا أمة، وأما الآن فانهم جماعة دينية. قال مستر ووسان ولف سنة ١٩٠٤ أن اليهود جماعة دينية مربوطة بالزواج الداخلي ». وأما اختلاف الآراء بهذا الشأن فيفسر بأن الديانة اليهودية كسائر الأديان القديمة كانت ترمي الى سعادة الجماعة أو القبيلة وبالتالي الى بقائها. اليهودية تنص على المبادئ الدينية والاجتماعية والسياسية كما انها تنص على المبادئ الدينية. كتب جيبون في كتابه عن سقوط الامبراطورية الرومانية وزوالها : « يظهر ان دين موسى جُعل لقطر خاص ولأمة خاصة ». اليهودية شعبية National بمقصدها. والرومان كانوا هكذا بلا شك ؟ والنصارى طائفة مكونة من عدّة أمم. وكتب كتبن يهودي في المانيا : « اليهود أمة سائرة في طريقها مستعدّة أن تضحي التضحيات اللازمة ».

ليس سهلاً أن أثبت أن اليهود أمة. فاذا اعتبرناهم أمة فهم أيضاً سلالة، فاعتبارهم سلالة يصدق على أول ظهورهم كسلالة. في سنة ١٥٧٠ ظهرت الجملة التالية في أحد المطبوعات « سلالة ابراهيم وشعبه » والمطران نورويتش كتب : « التاريخ نفسه (التوراة) هو قصة غير تامة عن سلالة صغيرة ». فان كنت مخطئاً في كلامي عن اليهود كسلالة أكون مسبوقاً بهذا الشأن ولي نظير. أن معظم زملائي الانثروبولوجيين في انكلترا وفي أوروبا وفي أميركا ينظرون الى السلالة نظرة عالم في علم الحيوان، ويعتقدون أن السلالة تتميز بعلامات خارجية، في حين أني أعتقد أن العلامات الأولية يجب أن تكون سيكولوجية (عقلية).

واليهود جميع الخواص السيكولوجية التي للسلالة، فهم يشعرون بالتشابه الكلي فيما بينهم، وانهم يختلفون عن سائر الشعوب. وهم يضحون عن الفوارق الداخلية (فيما بينهم)، ويضحون حياتهم في سبيل تخليد جنسهم. هم شعب مختار منعزل عن سائر الشعوب: وقد أشتهروا عن رسالة المسيح. وحسب رأي كالدجي الذي كتب سنة ١٩٣٥ عن جهد اليهود فيما بين سائر الشعوب، الاحتكار والتعصب وعدم التساهل هي عناصر جوهرية في اليهودية كما هي سمات سلالية. والأستاذ هادكين رأى أن لليهود جميع الصفات الأخرى التي للأمة وهم يمتازون بسلالة الزنوج: أي الشعور بتفوق السلالة وتفاوتها.

أرسيل اختاسة لتمييز سلالة من أخرى الاعتماد على النظر والسمع. ويزنيوغ الذي هو انثروبولوجي يهودي يؤكد أن الروس يمكنهم أن يميزوا ٥٠ بالمئة من اليهود من مظهرهم. والروس اليهود يمكنهم أن يميزوا بعضهم من بعض في ٧٠ بالمئة من الأشخاص. واختباري في مخابئ البريطانية مجعلني أصدق في ٤٠ بالمئة من الأشخاص اليهود في التمييز بين اليهود وغيرهم. ولكني أخطئ نحو خمسة بالمئة في الناس الذين لم يبق منهم دم يهودي. ردهلبرج عالم الحياة النمويدي قدر الفرق بين اليهود الأوربيين والعناصر الأخرى كالفرق بين السومريين والأسيان. والدكتور هلامان العالم اليهودي قال: أن يهود جنوب أوربا المسمين السيفرديم يمتازون عالاً من مظهرهم. وسواء استعملنا كلمة سلالة كما يستعملها عالم الحيوان أو بمعناها الأصلي يعتبر اليهود سلالة.

القضية المهمة الآن هي أن نستكشف متى وأين عرف اليهود كسلالة تامة بحيث انها لا تحتاج الى اقليم تقيم وتعيش فيه. المصدر الأساسي لهذا الأمر هو العهد القديم، التوراة. التوراة والانثروبولوجيا الحديثة متفقتان في تعيين الوطن الأصلي لليهود. كان ابراهيم سوريًا سليلاً من الشعب الذي وضع أساس الحضارة البابلية. ويجب أن نلاحظ ان قبيلة ابراهيم كانت جماعة تتزاوج داخليًا، أي انها لا تتزاوج مع قبائل أخرى، ابراهيم تزوج أخته من أمه، وناحور تزوج بنت أخته، واسحق ويعقوب تزوج بنتي عمهما. وأخيراً حين استوطن حفداء ابراهيم جنوب فلسطين أصبح امتزاجهم بالأمم الأخرى خطراً على نقاوة السلالة. ونلاحظ أن يهوذا الذي يجب أن نلاحقه على الخصوص، تزوج إحدى

بنات البلاد (من غير قبيلته) وهكذا نزل ابنه

وكاتب التوراة المؤرخ يترك بعد ذلك مسألة تفسير ولاسيما رحلة بني اسرائيل الى مصر ومن مصر، وهو يفصل أمر الاسرائيليين حين كانوا في مصر. ولقد كانوا آخر حلقة من سلسلة الشعوب التي امتدت شمالاً أي غربي الأردن حتى حدود سوريا. فالمديانيون والعمالقة والأدوميون والموآبيون والعمونيون يمثلون حلقاً في تلك السلسلة. كلهم يتكلمون لغات مختلفة مشتقة من لسان واحد كالاسرائيليين. والراجح ان الاسرائيليين دخلوا مصر لا كأعضاء أسرة واحدة، بل كقوم متجمعين من أسرات عديدة. والقبائل الأعراب لا يزالون يقيمون في ضواحي الدلتا المصرية، وبعد اقامة محدودة يرحلون. وكذا الاسرائيليون بعد توحل طويل في مصر، يقدر عادةً بنحو ٤٤٠ سنة، صاروا قوماً صحراويين (يترحلون). وتنقيب جارستانغ Garstang في أريحا أظهر أدلة على عبور الاسرائيليين نهر الأردن وفتحهم الأرضين العليا في فلسطين في زمن تقرر انه منذ ١٤٠٠ سنة قبل المسيح. وهذا البحاثة نفسه يقدر ان بني اسرائيل لما دخلوا فلسطين لم يكونوا يعدون أكثر من ستة آلاف نفس او سبعة آلاف[1]. وان يشوع (الذي استلم قيادتهم من موسى لم يكن يقدر أكثر من الف نفس). وكان اهالي البلاد حينئذ جماعات سلالات مختلفة. ومؤرخ التوراة (في سفر يشوع الاصحاح ١٢) يذكر نحو ٣١ مملكة او ولاية وقعت في أيدي الاسرائيليين. واذا علمنا ان مساحة فلسطين نحو ١٠ آلاف ميل مربع أي نحو خمس مساحة الكاثرا، وان أكثر من نصفها قليلاً صالح للاقامة، فنعلم كم كانت هذه الممالك صغيرة. والقراء يعلمون حينئذ جيداً كم كانت أقاليم الأسباط الاثني عشر صغيرة.

ولما استوطن الاسرائيليون في فلسطين ألفوا « اتحاد قبائل » Confederation ولكي يصيروا أمة كان عليهم ان يحلوا نظام القبيلة. وقد تم ذلك تحت حكم شاؤول وداوود وسليمان أي بين ١٠٥٠ و ٩٥٠ قبل المسيح. وكان سبط يهوذا أول من أحدث هذا التغيير في القبيلة، وأقام حكومة مركزية. واذ نرى أن اليهود جاؤوا من سلب يهوذا يجب أن نوجه أنظارنا على الخصوص الى ذلك السبط. وكان اقليمه يمسح نحو ٢٥٠٠ ميل مربع

(١) والتوراة تقول انهم خرجوا من مصر ٦٠٠ الف ماش (سفر الخروج: الاصحاح ١٢: عدد ٣٧)

ونصف أرضه جبلي أو صحراوي . وفي عز قوة بني يهوذا وفتوحهم لم يزد عددهم على نصف مليون . وأرض يهوذا من أغنى فلسطين بحاصلها وكهنتها وأنبيائها . وكان يثريها هطاء وفلاح الرقاب مشغلين .

أول نكبة نكب بها الاسرائيليون انفصال الأسباط الشمالية العشرة من اتحادهم سنة ٩٣٥ قبل المسيح عن شعب يهوذا . وبعد قرنين (سنة ٧٣٨ — ٧٢٦ ق م) رأى بنو يهوذا أن الأسباط العشرة سيقعوا أسرى الى بلاد أشور واحتل بلادهم قوم أغراب عنهم . وفي أقل من قرن رأى بنو يهوذا أنفسهم في نفس الحالة ، اذ سيق الجانب الأكبر منهم أسرى الى بابل (٥٩٦ — ٥٨٢) . وفي الأسر وجد ابناء يهوذا أنفسهم في عقلية أشد سلابة وعناداً من اخوانهم الذين كانوا في المملكة الشمالية . واسرائيليو الشمال ذابوا في الشعوب الغريبة التي نزلت في أرضهم بينهم . والقوم اليهوديون (الذين نتكلم عنهم الآن كيهود) حرصوا على ذاتيتهم . وحين كانوا بين البابليين ، حافظوا على لغتهم وعاداتهم . وهذبوا ديانتهم حرصاً على سلالتهم . وحافظوا على تقاليد سلالتهم بحيث أن ديانتهم تبقى نقية غير ملوثة . ويقينهم بأنهم مستقلون عزل عن الأمم الأخرى ، وانهم شعب مختار ، واحساسهم بأنهم سلالة قائمة بذاتها — هذا اليقين أقدرهم أن يصمدوا ضد قوة الاندماج بالبابليين . وأخيراً وهم يشعرون انهم دخلاء في الامبراطورية الفارسية (بعد أن غزا كورش الفارسي بابل واستلكها وأطلق سراحهم) كان شعورهم بأنهم سلالة مستقلة حققهم كشعب قائم بذاته . ولطالما جاهد الاغريق والرومان والمصريون ضد ضغطهم في تمسكهم بذاتيتهم فأخفقوا .

هذا لنا خبر حادث ممتاز في مجرى التطور البشري — خبر لشعوب سلالة ذات فرع جديد . ولدت السلالة وترعرعت في اقليم من فلسطين ، كان حصة سبط يهوذا . وكان هذا السبط يحصر التزاوج في داخله . ولكن هذا الحصر في التزاوج لا يكفي وحده لتولد شكل خاص للعقلية . فلا بد إنه كان في تكوين هذا السبط رجال ونساء أغنياء بالشعور والاميال والاستعداد الطبيعي لهذه العقلية . هذا النوع من العقلية الذي أنسبه الى بني يهوذا الأولين القدماء تمثل في نحميا ساقي ملك فارس في قصر شوشان نحو سنة ٤٩٦ ق . م .

نقل الى نحميا أصحابه أخباراً سيئة عن حالة أورشليم . قال نحميا في سفره الاصحاح الاول عدد ٤ . — « فلما سمعت هذا الكلام جلست وبكيت ورثيت أياماً وصمت وصليت أمام إلـه السماء » . والانسان الذي يفعل هكذا لا يكون ذا شخصية اعتيادية . ان أناساً كثيرين يكرهون أن يتطرفوا . ولكنهم يودون أن ينطرفوا (في مثل هذا التطرف) فلا تثكر على نحميا عواطفه نحو قومه .

كان اليهودي في وطنه الأصلي فلاحاً . وكانت له مزارعه يزرع فيها القمح والشعير . ويشذب كرمته . ولكن الفلاح كان يقطن في مدينته . ويجوز انتشر في البلاد بنى مدناً لسكنه ، لأنه في المدينة يعيش مع قومه ، ويتجو من الاندماج في أقوام أخرى . ولكن كيف نجح في التجارة ؟ في مراكش الاسبانية نسأل عن كيفية صيرورته تاجراً وصرافاً . نشأت سوق على الحدود حيث تلتقي أقاليم بعض القبائل وحيث تحدث التقايض . في أول الامر أشغل تلك الاسواق يهود . وقد جلبوا معهم الأحذية والملابس الجاهزة لكي يبدلوا بها بضائع أخرى من الاهالي . فكانت القبائل ترحب بهم لأنها تحتقر التجارة والتجار . فانتقل هذا الشغل رويداً الى يهود مراكش . فأدخلوا المعاملة بالنقد وأصبحوا صيارفة وذوي مصارف . بمثل هذا الأسلوب صار اليهود تجاراً في الأرض التي استوطنوها . ففي زمن ابراهيم كانت التجارة بين سوريا ومصر في أيدي الشعوب السامية . وفي الزمن القديم والزمن المتوسط كان الاعراب ينقلون البضائع ويبيعونها .

وهناك شمان آخران الارمن والفرس شاركوا اليهود في عقليتهم السلالية ، فكانوا يتاجرون في مدة تشتتهم . الارمن محسوبون آريين واليهود ساميين ، ولكن لكلا الفريقين سجايا في العقل والجسد يشتركان بها بحيث أن الانثروبولوجي الذي يحسب حساب هذا التشابه يشعر انه مضطر أن يتقهقر الى الوراء ، فيرد الفريقين إلى تلك السلالة الموهومة التي كانت في طليعة العناصر التي أنشأت حضارة ما بين النهرين . واني لأوافق الدكتور باو Dr. L. W. Parr في ما قاله بشأن سجايا الارمن : « هم ذوو درجة عالية في الوحدة السلالية ، وسجايا خاصة اجتماعية واقتصادية حتى في دمهم وخواصهم الضيعية . وعقلية الفرس من جهة أخرى لا تنسب إلى ميراث من شعب بين النهرين . كانوا فرساً من

طوال الرؤوس وسود الشعور . وأما يهود الشمال فكانوا مستديري الرؤوس [illegible] شقر أو صفراء أو وردية . فكيف نعلل هذا الخلاف بين الجانبين اذا كانوا كلهم [illegible] يهودا . لا ريب أن اليهود الأولين هدوا كثيرين الى اليهودية ، وبسبب الزواج [illegible] من حين إلى حين ضموا جريثيات [illegible] من الشعوب المختلفة التي كانوا يتحيشون [illegible] جريثياتهم الخاصة . وبهذا البيان تفسر خواصهم الفسيولوجية . ولكن لعوامل [illegible] الطبيعي ، عمل ما دامت تكوّن جالية بعد جالية . ونحن نعلم أنه حين تنقسم جماعة [illegible] تختلف الأقسام الجديدة عن القديمة بقوتها التوليدية . فحين ولدت الجالية اليهودية القديمة زمرة من الرواد لكي تؤلف جالية في بلدة مجاورة ، فالرواد يختلفون في بعض الصفات عن الجالية الأم . وحين هذه الجالية الجديدة تعمل لتأليف جالية ثالثة ، فالثالثة تختلف أكثر فأكثر عن الأم والجدة . والراجح أن اليهود الذين يلقوا الى بولندا قادمين من حوض الرين كانوا الحلقة العشرين أو الثلاثين من سلسلة الجوالي المتوالدة من الجالية الأم التي نشأت في الرين ثم هجرته . هكذا نتوقع ان اليهود الذين بعدوا جداً عن مركز التشتت يجب أن يختلفوا جداً عن طابع يهوذا أو طرازه .

* * *

فعملية التطور التي احتملها اليهود لم تنحصر في صفاتهم الجسمانية بل جهازهم العقلي . السمة الجوهرية التي يتسم بها اليهودي هي إحساسه الحي بأنه حلقة من سلسلة سلالته وإنه غير متصل بالأمم الأخرى Jentiles . بغير هذا الاحساس يغرق في بحر الأممية . فكثير لحظة في التجارب التي تعرّض لها اليهود والغربلة التي قاسوها وعملية الانتخاب التي احتملوها في الـ ٢٥ قرناً التي تفصلهم الآن عن جدودهم الذين كانوا في الأسر كانت خواص اليهود الاجتماعية قد تطورت كما تطورت خواص الأممي . وكان دائماً تغريبه جواذب مضيافه الاجتماعية . حتى إذا كان ضعيفاً أصبح فريسة لها . الاثم الذي لا تغتفره جماعته هو شروده عن عقيدته وسلالته وعلى الرغم من حرمه من جماعته وجحدها له . قد يقع في هوى مرأة من إحدى الأمم ويتزوجها . وهكذا يجلب دماً أممياً الى سلالته . والنسل المختلط من زواج كهذا مع الزمن يؤول الى

شراك الرؤوس وسود الشعور . وأما يهود الشمال فكانوا مستديري الرؤوس وشعورهم شقراء أو صفراء أو وردية . فكيف نعلل هذا الخلاف بين الجانبين اذا كان كلاهما من سلالة يهوذا . لا ريب أن اليهود الاولين هدوا كثيرين الى اليهودية وبسبب الزواج المختلط من حين إلى حين ضموا جريثيات diathèses من الشعوب المختلفة التي كانوا يتعيشرون معها جريثياتهم الخاصة . وبهذا البيان تفسر خواصهم الفسيولوجية . ولكن لعوامل الانتخاب الطبيعي » عملٌ ما دامت تكوّن جالية بعد جالية . ونحن نعلم انه حين تنقسم جماعة أو قبيلة تختلف الأقسام الجديدة عن القديمة بقوتها التوليدية . حين ولدت الجالية اليهودية القديمة زمرة من الرواد لكي تؤلف جالية في بلدة مجاورة ، فالرواد يختلفون في بعض الصفات عن الجالية الأم . وحيث هذه الجالية الجديدة تعمل تأليف جالية ثالثة ، فالثالثة تختلف أكثر فأكثر عن الأم والجدة . والراجح أن اليهود الذين بلغوا الى بولندا قادمين من حوض الرين كانوا الحلقة العشرين أو الثلاثين من سلسلة الجوالي المتوالدة من الجالية الأم التي نشأت في الرين ثم هجرته . هكذا نتوقع ان اليهود الذين بعدوا جداً عن مركز التشتت يجب أن يختلفوا جداً عن طابع يهوذا أو طرازه .

* * *

فعملية التطوّر التي احتملها اليهود لم تنحصر في صفاتهم الجسمانية بل جهازهم العقلي . السمة الجوهرية التي يتسم بها اليهودي هي إحساسه الحي بأنه حلقة من سلسلة سلالته ، وإنه غير متصل بالأمم الأخرى Gentiles » بغير هذا الاحساس يغرق في بحر الأممية . فكر لحظة في التجارب التي تعرّض لها اليهود والغربلة التي قسوها وعملية الانتخاب التي احتملوها في الـ ٢٥ قرناً التي تفصلهم الآن عن جدودهم الذين كانوا في الأسر كانت خواص اليهود الاجتماعية قد تطوّرت كما تطوّرت خواص الأممي . وكان دائماً تقريبه جواذب مضيافه الاجتماعية . حتى إذا كان ضعيفاً أصبح قريبها . الاثم الذي لا تغتفره جماعته هو شروده عن عقيدة وسلالته وعلى الرغم من حرمه من جماعته وجحدها له . قد يقع في هوى مرأة من إحدى الأمم ويتزوجها . وهكذا يجلب دماً أممياً الى سلالته . والنسل المختلط من زواج كهذا مع الزمن يئول الى

التاريخ بالشعوب الذين اختلط بهم . فاذا لم تكن عقلية اليهودي السلالية موروثة فالنسل يغرق في الأمم ويضل عن السلالة وينفصل عنها . وفي أثناء قانين جيلا كان اليهود يقاسون عملة الانتخاب العقلي القاسية . ولو لم يكن الاحساس السلالي راسخاً فيهم لغرقوا في بحر الأمية . وبدلاً من أن يضعف شعور اليهودي بالاستقلال عن الأمم كان ينمو أقوى فأقوى مع الزمان . وبين الأمم صار الشعور بالقومية أكثر طغياناً وعدائيًا .

* * *

كانت لي فرصة حسنة أن أتكلم عن عقلية تحيا كطابع لعقلية اليهود ، على أني أزيدها برهاناً إذا كنت أقتبس شعبه المزواج المختلط (السفر ١٠ العدد ٢٣) ، في تلك الأيام أيضاً رأيت اليهود الذين ساكنوا نساء أشدوديات وعمونيات ومؤآبيات ونصف كلام بنيهم باللسان الأشدودي ولم يكونوا يحسنون التكلم باللسان اليهودي بل بلسان شعب وشعب . فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم أناساً » وكان النبي عزرا يعتقد أن هذا الزواج المختلط جلب عليهم غضب الرب على شعبه المختار (سفر عزرا الاصحاح العاشر عدد ١٠ و ١١) .

وكان كلما عنفت الأمم مواطنيها اليهود زادوهم حرية دينية واجتماعية ومدنية . وسقط العدد الأكبر من اليهود فرائس لعملية الاندماج بالأمم . ومن جهة أخرى كانوا كلما تحاملت الأمم عليهم ، وكلما اشتد الاضطهاد ونشطت نعرة الروح المقاومة السامية اشتد التصام اليهود وصاروا أكثر تعصباً ، واليهود الذين لم يبالوا بديانتهم بل أهملوها وصاروا على شفا أن يهجروا الجماد السامي كانوا إذا أصبحت سلالتهم تحت خطر يتصدون تحت لوائها للدفاع . تكفينا شهادة يهودي واحد على صحة هذا القول . هي أن الفيلسوف برغسن اليهودي الفرنساوي لما اشتد الاضطهاد على اليهود في المانيا سنة ١٩٣٧ قال تعليلاً لهذا الاضطهاد « ان تفكيري قادني شيئاً فشيئاً الى الكتلكة التي كنت أرى فيها اتفاقاً مع اليهودية ، كدت أعتنقها لو لم أتوقع الموجة الهائلة ضد السامية . أود أن أبقى مع هؤلاء الذين سيضطهدون غداً » . هذه هي روح اليهودي السلالية ، لا تخور .

[وفي العدد القادم تعليق على مقال الدكتور السيركيث]

منابع النيل

حسب عقيدة قدماء المصريين وتقاليدهم

لأنطون زكري
تمة المقال

قال صاحب الأقاليم السبعة إن النيل يخرج معه من جبل القمر من عشر عيون ، خمس تجتمع في بطيحة ، وخمس في بطيحة أي مكان منبطح من الأرض ثم يجتمع بعد ذلك الماءان ، وذكر صورة جبل القمر ، وإنه مقدس وعلى رأسه شرافات (شرفات عالية)

حكى ذلك عنه الشيخ العلامة « شهاب الدين بن حماد » رحمه الله تعالى في جزئه الذي جمعه في النيل ، وهو جزء لطيف جداً . وحكى فيه عن المسعودي أنه قال في كتابه (مروج الذهب) وأصل النيل ومنبعه من تحت جبل القمر ، ومبدأ ظهوره من إثنى عشر عيناً . وجبل القمر خلف خط الاستواء ، يعني الذي يستوي فيه الليل والنهار ، وأضيف إلى القمر ، لأنه يظهر تأثيره فيه عند زيادته ونقصانه بسبب النور والظلمة والبدوي والمحاق .

قال المسعودي فتنصب تلك المياه الخارجة من الاثني عشر عيناً إلى بحيرتين هناك ، وهو معنى كلام صاحب الأقاليم في بطيحة .

قال : ثم يجتمع الماء منها جارياً . فيمر برمال هناك وجبال ثم يخترق أرض السودان مما يلي بلاد الزنج ، فينبع منه خليج ينتهي إلى بحر الزنج[1] انتهى ما أردته منه .

ومن قال إنه ينبع من جبال القمر السرج الكدي ، كما نقله عنه ابن حماد في جزئه المذكور ، فظهر بذلك أن أكثر المؤرخين على هذا القول ، كما أشار اليه صاحب الأصل بقوله فيما تقدم ذكر غير واحد من المؤرخين .

وقال صاحب « الكردان » : وفي أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم إلى أن مجراه من جبال الثلج ، وهو بجبل (ق) ، وأنه يخرق البحر الأخضر[2] بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان ، فيمر ما شاء الله الى أن يأتي بحيرة الزنج .

---

(١) ويقيم الزنوج في الجزء الشرقي من أفريقيا الشرقية بين زنزبار .

(٢) وهو جغرافيو العرب النيل الشرقي تارة البحر الأزرق وتارة البحر الأخضر .

قال الملكي لهذا القول ولولا ذلك يعني دخوله في البحر الملح، وما يختلط به منه، لما كان يستطاع أن يشرب منه لشدة حلاوته.

وقال قوم: ممدود من خلف خط الاستواء بإحدى عشرة درجة. وقال قوم ممدوه من جبال القمر، وأنه ينبع من اثني عشر عيناً. انتهى ما أردته منه.

وقال ابن عماد في جزئه المذكور، وذكر بعضهم أن سائر مياه الأرض وأنهارها يخرج أصلها من تحت الصخرة[1] بالأرض المقدسة، والعلم عند الله تعالى. انتهى. ولم يبين قائل ذلك، وقد بينه في موضع آخر من جزئه المذكور فقال:

وذكر الثعالبي في قصص الأنبياء أن جميع مياه الأرض يخرج أصلها من تحت الصخرة. انتهى، ويدخل في إطلاق هذا القول النيل وغيره.

وذكر ابن عماد في جزئه المذكور عند كلامه في الاستدلال على أفضلية النيل على غيره من الأنهار، أن النيل يخوض في البحر الملح، ولا يختلط به، بل يجري تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء، قال وهذا يظهر لركاب البحر في بعض النواحي فيستقون منه الشرب وذلك في أماكن معروفة. انتهى.

ورأيت في مناقب الإمام الأعظم والحبر المحترم الشافعي رضي الله عنه لأبي القاسم ابن قاسم المقدسي حكاية عنه تدل على أن النيل يمر ببلاد الهند.

وكان ابن طولون قد سأل شيخاً كبيراً من علماء القبط عمره مائة وثلاثون سنة عن أشياء في أحوال مصر أين منتهى النيل في أعلاه، فقال البحيرة التي لا يدرك طولها وعرضها وهي تحت الأرض التي الليل والنهار فيها متساويان طول الدهر، وهي تحت الموضع الذي يسمى عند المنجمين الفلك المستقيم. قال وما ذكرت فمعروف غير منكور. قلت قد اختصر صاحب الأصل هذه الحكاية، وقد نقلها الشهاب بن عماد في جزئه المذكور عن المسعودي فقال: قال المسعودي: «وكان أحمد بن طولون في سنة نيف وستين ومائتين بلغه أن رجلاً بأعلى مصر من الصعيد له ثلاثون ومائة سنة، من الأقباط، ممن يشار إليهم بالعلم، وإليه علامة بمصر وأرضها في برها وبحرها وأجنادها وأجناد ملكها، وأنه ممن سافر الأرض، وتوسط الممالك، وشاهد الأمم في أنواع البيادين والسودان، وأنه ذو معرفة بأنواع هيئات الأفلاك وأحكامها. فبعث إليه أحمد وأخلى له نفسه ليالي وأياماً كثيرة يسمع كلامه وإيراده وجوابه فكان فيما سأله عن طول الأحابيش على النيل وممالكهم

(١) معبد الصخرة في جامع سيدنا عمر بمدينة أورشليم.

قال : لقيت من ملوكهم ستين ملكاً في ممالك مختلفة ، كل منهم ينازع من يليه من الملوك وبلادهم حارة يابسة . قال فأمنتهى النيل في أعلاه . فقال البحيرة ؟ الى آخر ما ذكره عنه صاحب الأصل . والله أعلم .

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد الأسواني في كتاب أخبار النوبة من أخبار النيل ، وما شاهدت منه ومن تشعبه وتقسيمه على سبعة أبحر من بدء علوه واجتماعه ببلدة مقره ، وتعطفه تعطفاً عجيباً قبلي مدينتهم وافتراشه ، وإنه يجري بجري « دنقله » حتى يكون ما بين شرقيه وغربيه نحو اربعين فرسخاً ، ويتضايق بعد ذلك حتى يكون عرضه دون الخمسين ذراعاً ، وتكون الجنادل معترضة في غير موضع منه حتى يكون انصبابه في بابين أو ثلاثة أبواب .

قال : وقلعة أصفوف أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق الى الغرب في النيل ، والماء ينصب من ثلاثة أبواب ، وربما يرجع الى بابين عند انحداره ، شديد الخرير عجيب المنظر لشخور الماء من علو الجبل وقبليه مرسى حجارة في النقل نحو ثلاثة أرد الى قرية تعرق يسير وهي آخر قرى ميرس وأول بلاد مقره .

« قال أبو محمد عبد الله بن محمد الأسواني في كتاب اخبار النوبة عند ذكر ناحية يقرن مانصه » :

« وما رأيت على النيل ناحية أوسع منها وقدرت ان سعة النيل فيها من المشرق الى المغرب مسيرة خمس مراحل [1] الجزائر تقطعه والأنهار منه تجري بينها على أراض منحطة وقرى وعمائر حسنة . انتهى »

قلت وطريق الجمع بين هذا وبين ما تقدم نقله من صاحب خزانة التاريخ أن عرضه مختلف بحسب بلاد النوبة أيضاً . ففي بعضها كما قاله صاحب خزانة التاريخ أعني ثلاثة أميال فما دونها . وفي بعضها كما قال الأسواني أعني خمس مراحل وهذا جمع حسن ، ولا مانع من ذلك لأن سبيله المشاهدة والله أعلم .

قالوا ومن وراء مخرج النيل الظلمة [2]

---

(١) أي عبارة عن مائة وخمسين ميلا .

(٢) قيل الوصول الى سلسلة الفلك الخرافية توجد فيها مظلمة تمنع الناس للزور وربما فقد الزائف هذه البلدة القريبة .

قال ابو الخطاب: وخلف القلمة منبالا . فسبحان العليم. وفي تاريخ ملوك مصر ان الوليد[1] أحد ملوك مصر من العمالقة كان يعبد القمر ، وهو أول من تسمى فرعون وأقام بمصر مدة ثم عن له أن ينظر مخرج النيل ويعرف من أين يأتي فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك ، ثم جمع جميع ما يحتاج اليه واستخلف على مصر عوناً ، وتوجه فمرّ على أم السودان وسار في طريقه على ارض الذهب[2] ، وفيها أمة عظيمة ينبت الذهب في تلك الأرض كالقضبان. ثم سار حتى بلغ البطيحة التي ينصب فيها ماء النيل من الأنهار التي تخرج من جبل القمر وراء القمر الذي عمله هرمس[3] ، وصعد على جبل القمر وراء البحر الزفتي الأسود. ورأى النيل يجري عليه كالأنهار الزقاق ، وأتاه من ذلك البحر رواتح منتنة عافاه بسببها كثير من أصحابه ، وذكروا أنهم لم يروا هناك شيئاً ولا قمراً الا نوراً أحمر مثل نور الشمس ، ثم توجه راجعاً الى مصر وأقام بها مدة ، ثم ركب يوماً الى الصيد فظفر به أسد فقتله ودفن في بعض الاهرام وملك بعده الريان وهو فرعون يوسف عليه السلام .

قال الشيخ عماد الدين بن كثير في تاريخه الكبير . وأما ما يذكره بعضهم من أن منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس فرأى هناك هولاً عظيماً وجواري حساناً وأشياء غريبة، وان الذي اطلع على هذا لم يمكنه الكلام بعد هذا فهو من خرافات المؤرخين وهذيانات الأفاكين

قلت هذا الذي قاله الحافظ بن كثير رحمه الله لعله أشار به الى ما حكاه ابن زولاق في تاريخه عن بعض خلفاء مصر ، أنه أمر قوماً بالمسير الى حيث يجري النيل فساروا حتى انتهوا الى جبل عال والماء ينزل من أعلاه له دوي وهدير لا يكاد يسمع أحدهم صاحبه ، ثم ان أحدهم تسبب في الصعود الى أعلى الجبل لينظر ما وراء ذلك ، فلما وصل الى أعلاه

---

(١) ان الوليد هو ابن سالم الذي ذكره غريغوريوس أبو الفرج في تاريخه المختصر عن الاسر وأنه من ذرية الملك ابن البقار وعقد الاساور الذي جعل أولاده يتوارثون في أدومية الجزيرة لاوض مصر وقبل ضرب الوليد أرض مصر أبينا ابراهيم كان ملوك مصر يلقبون بالفراعنة .

(٢) روى الشريف الادريسي انكان أهالي تكرور بلدة واقعة في نهاية أفريقيا الغربية يعتقدون أن الذهب نبات . وروى أحد كتاب العرب حادثة غريبة في أبها وأثبت أن الذهب نبات في غير أفريقيا . وفي سنة ٣٩٤ هـ . كان محمود بن سبكتجين السلطان الاول من الاسرة الغزنوية يشتو مرة في بلخ فجاءته الاخبار بأن في بعض الجزائر التي قبالها شجرة من الذهب الخالص وان طولها نحو ثلاثة أذرع تحت البنان . ولكن في مصر من عند السلطان مسعود حدثت زلزلة فقلبت هذا الجبل وزال النجم الذهبي . اهـ .

(٣) يعتقد الشرفيون وجود ثلاثة أشخاص معروفين باسم درمس وعاشوا في عصور مختلفة ، وان درمس الذكور هذا ظهر بعد آدم بألف سنة ومشهور ايضاً باسم ادريس . اهـ

رقص وصفق وضحك ثم مضى في الجبل ولم يعد احدا به يعرفون ما شأنه، ثم ان رجلا منهم صعد لينظر فعمل مثل الاول فطلع ثالث، وقال اربطوا في وسطي حبلاً فاذا أنا وصلت الى ما وصلا اليه، ثم فعلت ذلك فاجذبوني حتى لا أبرح من موضعي، ففعلوا ذلك. فما صار في أعلى الجبل فعل كفعلهم فجذبوه اليهم فقيل إنه خرس ولم يردّ جواباً فمات من ساعته، فرجع القوم ولم يعلموا غير ذلك. انتهى.

قال: وقلعة أسندون أول الجنادل الثلاثة وهي أشد الجنادل صعوبة لأن فيها جبلاً معترضاً من الشرق الى الغرب في النيل، والماء ينصب من ثلاثة أبواب، وربما يرجع الى بابين عند انحساره، شديد الخرير عجيب المنظر لاندفاق الماء عليه من علوّ الجبل. وقبليه فرش حجارة في النيل نحو ثلاثة أبرد الى قرية تعرف بيسير، وهي آخر قرى سرسين وأول بلاد مقره

قال الوطواط الكتبي في كتاب مباهج الفكر إن طول مسافته ثلاثة آلاف فرسخ ونيف. وقيل إنه يجري في الخراب أربعة أشهر، وفي بلاد السودان شهرين، وفي بلاد الاسلام شهراً. قلت هذا القول موافق لما جزم به ابن زولاق في تاريخه.

وذكر صاحب درر التيجان أن من ابتدائه الى انتهائه اثنين وأربعين درجة وثلثي درجة كل درجة ستون ميلاً، فيكون طوله ثمانية آلاف وستمائة وأربعة وعشرين ميلاً وثلثي ميل على الفصل والاستواء، وله تعويجات شرقاً وغرباً فيطول ويزيد على ما ذكرناه. وقال صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق «وبين طرفي النيل مما ثبت في الكتب خمسة آلاف وستمائة ميل وثلاثون ميلاً».

وذكر صاحب خزانة التاريخ: ان طوله أربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وسبعون ميلاً، وعرضه في بلاد الحبشة والنوبة ثلاثة أميال فما دونها، وعرضه ببلد مصر ثلثا ميل، ليس يشبهه نهرٌ من الأنهار. وفي تاريخ ابن زولاق ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل، يسير مسيرة شهر في بلاد الاسلام، وشهرين في بلاد النوبة، وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة، الى أن يخرج من جبال القمر خلف خط الاستواء. قلت ما حكاه صاحب الأمثل في تاريخ ابن زولاق، ادعى ابو قبيل الاجماع عليه ولفظه كما حكاه ابن عماد في جزئه المذكور ما نصه: «وأجمع أهل العلم على أنه ليس في الدنيا نهر أطول مدى من النيل يسير مسيرة شهر في الاسلام الى آخر ما تقدم ذكره، وزاد فقال: وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الروم والنيل غير نيل مصر. انتهى والله أعلم.

انظر ذكرى

موسم العجائب

انطبل (مطاوع طبّل) لبنان في الشهر الماضي بالثرثرة الطنانة الرنانة بأعاجيب القديس «شربل» أو شاربل الذي مات منذ نصف قرن ثم ظهرت من قبره نبعة لم تكن معروفة من قبل . فلما فتحوا القبر وهو في الكنيسة أو عند الكنيسة على قول آخرين ، ظهرت جثة القديس ولمّا يتعفن فيها البلى بعد . وما لبث المشاهدون أن رأوا الجثة تنضح عرقاً حتى يبتلّ كفنه وثوبه . وأحياناً كان يظهر العرق ، ممتزجاً بدم . وكانوا يغيّرون قميصه مرتين أو ثلاثاً في اليوم ، ولا يزال يعرق وينضح دماً من حين إلى آخر . هذا مجمل الرواية عن جثة هذا القديس بعد نصف قرن من وفاته — شيء عجيب .

ومن لا يسرع لكي يرى جثة هذا القديس وهي لا تزال كما فارقتها روحه منذ خمسين سنة ، ومن يرى هذه الأعجوبة ولا يقول أن شربل هذا الذي كان راهباً وكاهناً قديس عجائبيّ . وكيف لا يكون عجيباً أمره ودمه لا يزال حيّاً يسيل أحمر قانياً كما كان منذ خمسين سنة قبل أن يموت . أجل انه عجيب وعجيب — كذا تدفقت الروايات عنه في لبنان وسوريا ومصر والعراق إلى كل بلد يسمع الأشاعات باللغة العربية .

ولماذا لا يقال أن الراهب أو القسيس شربل هذا كان قديساً في حياته المطوقة بقصص التقوى وحولها هالة من القداسة . ولماذا لا يقال انه قديس لا يذعن لسنن الطبيعة ، بل سنن الطبيعة تخضع له وتأتمر بأمره وتعمل ما توحي جثته لها ناهيك عمّا يشفيه عرقه من الأمراض وما يمحوه دمه من الأدران وما يغسله من الخطايا والآثام .

فلذلك جعل كثير من المصابين بالأمراض العقامة والمشوّهي الأبدان يتوافدون اليه للتبرك والاستشفاء . توافدوا من جميع نواحي لبنان حتى من سوريا ومصر والسودان . والغط في سوريا ولبنان حتى في بيروت على قدم وساق ، الغط بما فعل شربل القديس

من المعجزات فذاك كان أعمى فأبصر، وذاك كان أصم فسمع، وهذاك كان أحدب فاعتدل، وهناك كانت إحدى رجليه أقصر من الأخرى فطالت حتى ساوتها. وذاك كان مبتوراً فطاب، وتلك كانت عاقراً فاذا بها حامل، إلى غير ذلك من الأقاويل العجيبة المدهشة.

وأغرب عجائب هذا القديس أن شيخاً يدعى يوسف حنون قضى حياته يعمل اسكافاً، وكان سيم الخلقة، وقد وهن عظمه، واشتعل رأسه شيباً، إذ بلغ من العمر عتيّاً. يقال انه الآن في الثانية والمائة ولكنه لا يزال نشيطاً بعض النشاط ولم يتزوج، دخل الى مقام هذا الراهب وركع وكان يصلي، ويقول يا رب لماذا تحرمني حظي من شباب الحياة. امنحني نصيبي من شباب الحياة ومسراته. يا سيدي القديس شربل تشفع لي عند ربنا. الخ

وخرج الشيخ يوسف حنون فاذا هو معتدل القامة حالك الشعر، وقد اندمج لحم وجهه، وانصقل جلد خديه، وزالت كل تجعدات عياه. وصارت الفتيات يتغامزون عليه. وقال أحدهم: من هذا؟ أليس هذا ابن يوسف حنون؟ فقال آخر يوسف حنون لم يتزوج.

ومن يستطيع أن يكذب القائل وهو يقول لقد ذهبت بنفسي ورأيت بعيني. وأعرف فلاناً بعين عوراء وقد رأيته أخيراً بعينين كاللؤلؤ. وأعرف فلاناً كسيحاً وأخيراً رأيته يمشي أمامي ثم يركض معي. وأعرف فلاناً أعقد اللسان أو أبكم وإذا به اليوم يبز شيشرون في الخطابة. أجل لا يجسر أحد أن يقول أن هذه الأقوال المنقولة كلها أكاذيب، والذين رووها رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم. وان قلت إني لا أصدق ما لم أرَ بعيني. فيقولون لك اذهب الى دلك المقام القدسي وانظر بعينيك.

قالوا إن الحكومة أوفدت لجنة من الأطباء ومعظمهم من أساتذة الطب الممتازين لكي يفحصوا الجثة ويحققوا ويشاهدوا العجائب بأعينهم وقيل عنها أن منهم الدكتور يوسف الحتي الأستاذ في الجامعة الأميركية، ومتى عادوا من التحقيق نشروا تقريرهم. وها نحن منتظرون نتيجة التحقيق.

أما أنا العبد الفقير نقولا الحدّاد لا أصدق أن الدكتور حتي العالم الكبير، ولا غيره من الأطباء يرضون أن يذهبوا الى مقام ذلك الوليّ لكي يحققوا في خرافة أو يعلنوا تقريراً في صحافة. ان علمهم يصدهم وفهمهم الآبية ترتفع عن سخافة كهذه.

ويظهر أن هذا الربيع ربيع العجائب، فقد وردت لنا من شوف لبنان أخبار معجزة لبست معجزات شربل أمامها شيئاً. وتحرير الخبر أن قرب دير المخلص قرية وفي السهل الذي تحتها كنيسة صغيرة (كابيلا) بناها مطران في ملك له هناك ثم دفن فيها منذ سبعين سنة. وفي ٢٥ من شهر مايو كل سنة يقدّس خوري القرية قداساً فيها تذكاراً لذلك المطران. وفي الميعاد الأخير فيما كان الخوري يقدّس وأهل القرية يسمعون القداس وإذا مياه انبثقت من أمام باب الكنيسة وجعلت تجري صعداً (لا نزولاً) حتى صادت تصب فوق في حديقة الى جنب كنيسة القرية الكبرى. وكان الناس مدهوشين من هذا الينبوع العجيب، وجرى مائه الى فوق. وذاقوا ماءه فاذا هو زلال. ثم جعلوا ينبشون ذلك القبر الذي في الكنيسة الصغرى. فما لبث النبع أن انقطع — واستمروا ينبشون حتى بلغوا الى مقرّ المطران، وإذا هو لا يزال جالساً على كرسيه كما أُجلس حين دفن (لأن العادة أن يدفنوا كبار الاكليروس جلوساً على كراسيّ) ولم يبلَ منه شيء. فعادوا وغطوه كما كان. فعاد النبع يجري جرياً ضئيلاً وصار الناس يستشفون بذلك الماء.

هذه أخبار أعجوبة المطران فلابيانوس. وهي أعجوبة تزاحم أعاجيب شربل وأعاجيب كبير الرسل.

ولكن هناك أعجوبة أعظم من عجائب القديس شربل وعجيبة المطران فلابيانوس. وهي ان أهل لبنان الذين يتبجحون بأنهم أرقى البلاد العربية ثقافةً وعلماً وعندهم كليات الطب وكليات أخرى فيه — يصدقون هذه الأخبار ويتداولونها ويذيعونها حتى ملأوا بها جرائد بيروت وسوريا والعراق ومصر الى سائر البلاد العربية. يتداولونها ولا يخجلون. أليس هذا عجباً؟. وبعض جرائد مصر ومجلاتها تزعم أنها أوفدت من قبلها مراسلين يدرسون أعاجيب مار شربل. ولا تخجل هذه الجرائد أن تنشر تقارير لفقها مراسلوها استهواء لقراء وهي تعلم ان عامة الشعب يصدقون ما تنشره الصحافة حتى ولو كان ضلالاً وتضليلاً. وإذا قال لك القارىء: ياسيدي هذه أخبار حققتها الجريدة أو المجلة وأرسلت رسلاً أخصاء لتحقيقها أفتكذبها؟ فماذا تقول له؟

اقول أن كثيراً من ضلالنا وجهلنا وغباوتنا ناشيء عن جرعة صحافتنا في النشر من

غير تحقيق قانوني . وما اكسبه من الثقافة الحقة نخسره ونكسب أكثر منه الخرافات والترهات من ينجر الينا وعلائنا . فرفقاً بأقوام بناشئتنا التي تتقلب الآن على الاسس العلمية اليقينية ، ورحمة بسمعتنا وشرفنا . أن يذاع عنا أننا متمسكون بهذه الترهات والخزعبلات لعار علينا وعلى اولادنا وبناتنا يُعيَّر به جيلنا القادم

يانفوسي — ان الله لما خلق هذه الاكوان جعل لها سنناً ونواميس أبدية تسير عليها . فقد نشأ الكون الاعظم حتى الساعة لم نجد أجزاؤه من هذه السنن قيد شعرة . ففي كل ٢٤ ساعة تدور الارض على نفسها دورة كاملة ، فيأتي النهار في ميعاده والمغرب في حينه ، وتدور الارض حول الشمس كل عام مرة ، فيأتي كل فصل من فصول السنة في ميعاده . وهكذا دواليك . فلا يمكن أن يتخلف حادث عن ميعاده ثانية واحدة . وهكذا ينبت من حبة الحنطة سنابل قمح لا شعير ، ويثمر التين تيناً والعنب عنباً . ولا ينبت من الموسج تين — يستحيل ان يتغير هذا النظام الذي عمله الله . ولا يمكن ان يخضع نظام الله لمشيئة القديس شربل ، ولا يستطيع القديس شربل لا في حياته ولا روحه بعد مماته ان يغير شيئاً من سنن الله ولا أن ينقض قضاء الله ، ولا يمكن الله ، ان ينقض حرفاً من ناموسه لأجل خاطر شربل . كذا سنٌ . وكذا يكون . ولا يستطيع كائن على الارض او في السماء او في الكواكب والنجوم أن يرد قضاء الله . أو يغير سنة الله في خلقه

فاذروا ان تشركوا الموتى في قضاء الله . فهذا الاشراك اثم عظيم لا يغتفر

لا أظن شربل أقفر من سيدة لورد على عمل الخوارق . ومنذ بضع سنين ارسل معهد وكفلر بعثة من العلماء على اختلاف انواعهم الى باريس لكي يدرسوا حقيقة أعمال سيدة لورد . فذهبوا وحققوا وانظموا على السجلات وقابلوا بعض الاشخاص الذين زُعم انهم شفوا على يد سيدة لورد فاذا ما قيل بشأنهم أولاً وآخراً . وثبت للبعثة ان سيدة لورد اداة نصب ، وان عملياتها خزعبلات .

ولا يخفى ان فرنسا تعتبر بلاد الثقافة العالية وفيها هذا الافك فلا بدع أن يكون لبنان نداً لها في الثقافة والافك وقد تتفوق على يدها كما تعلمون

العزلة في رأس الجبل

نقاش بين ناسك وصحفي

٦ — مجلة ما انقطع

من ينتفع من الحرب

في صباح اليوم الثالث بعد أن تناولنا الفطور وجلسنا مجلسنا المعتاد . قلتُ : لم أنم طائلاً لأني لم أتعوّد النوم قبل المزيع الثاني من الليل ، فأرقت نحو ساعة كانت فيها فكرة الحرب تجول في خاطري .

قال : الحرب ؟ الحرب ، وقى الله المدنية منها ، أنها انتحار المدنية السكرانة بخمرة انتصارها على الطبيعة .

قلت . يقولون : الحرب احتدام تنازع البقاء . فهي إذن سنة طبيعية لا بد منها .

قال : نعم ، هي سنة طبيعية فقط . لا سنة اجتماعية أيضاً . بل تلك تقيض هذه . ولم تزل الحرب تحدث الى اليوم على الرغم من تقدم النوع البشري اجتماعيًّا . لأن غريزة التنازع لا تزال غالبة فيه . لا يزال الانسان وحشي الطبع أكثر مما هو انساني الخلق . وعلى الرغم من أن الحرب كانت قديماً حرفة الشيوخ والأمراء والملوك لأجل الكسب ، فما كانت في زمن من الأزمان مكسبة بل كانت خسائرها على الغالب أكثر من أرباحها . كان كدر لعومر الملك البابلي يغزو كل سنة أمة من الأمم . فغزا نحو ٢٥ غزوة . وكان يفرض الجزية على البلاد التي يغلبها . فكان هو شخصيًّا ينعم بأرباح النصر . ولكن شعبه لم ينل من انتصاراته ما يساوي خسائره في الحرب . ونابوليون اجتاح أوربا في مدة بضع عشرة سنة وسيطر عليها . فهل حسنت حال الشعب الفرنساوي من جراء انتصاراته؟ ما كانت حروب نابليون الا فتكاً بالشبيبة الفرنساوية وسائر الشبيبة الأوربية .

ادرس جميع حروب التاريخ تجد أنها كانت تفضي الى نفس هذه النتيجة . خسارة

فظيعة لحاربة الغرائب جميعاً في جنون بشري مطبق . تنازع الحيوانات رحمة إذا قورن سعيرها بالانسان ولأنه بقدر ما ارتقى الانسان ارتقت فنون تنازعه لحرقة اهلاك بعضه

قلت : ترى ألا يفهم الناس ولا سيما ساستهم هذه الحقيقة الناصعة التي تفضلت بتبيانها

قال : فعلى أن أفراد الأعظم منهم يفهمونها . ولكن الذين يثيرونها هم الآلهة — الآلهة التي عظمها ابن آدم . راجع ميثولوجيا اليونان والرومان حتى الهنود تجد أن الحروب كانت بين الآلهة وبعبودها البشر . ولا تزال كذلك حتى اليوم .

استغربت قول هذا وقلت : أجل كانت بعض آلهة اليونان والرومان وغيرها تحارب بعضها بعضاً . ولكني لا أرى صلة بين حربها وحروب البشر .

قال : بلى . حتى آلهة العبرانيين والمصريين والفلسطينيين والكنعانيين وغيرهم كانت تتحارب حروباً عنيفة وتنتج ويلاتها على اولئك الشعوب . لا تجهل أن موسى لم يخرج بني اسرائيل من أرض مصر الا بعد أن حارب إلهه آلهة المصريين وضربهم عشر ضربات . لم تستطع آلهة المصريين ردها فكان موسى منذوب رب اسرائيل وكهنة مصر وسحرتها منذوبي آلهة مصر . فغلب اله موسى آلهة فرعون . ولما دخل الاسرائيليون ارض الميعاد كان يهوه (اله اسرائيل) رب الجنود المتقلد رتبة حنرالیسیمو يحارب آلهة الفلسطينيين والكنعانيين والحثيين الخ . وكان كلما غضب يهوه على بني اسرائيل لسبب زيغانهم عنه سلط عليهم هؤلاء ، حتى إذا تابوا عاد فأمجدهم . وحكاية سقوط اريحا وايقاف الشمس يوماً وغير ذلك ترينا كيف أن يهوه كان يحارب مع اسرائيل .

ولما غلب الفلسطينيون بني اسرائيل غنموا منهم تابوت العهد وأودعوه في هيكل إلههم داجون . ولكن يهوه رب جنود اسرائيل أقوى من داجون ، فلم يسمح بأن يكون تابوت عهده بين أيدي أعدائه . ففي صباح اليوم التالي وجدوا تمثال داجون واقعاً عند أرجل تابوت العهد . فأوقفوه ثم وجدوه في اليوم الثالث واقعاً محطماً . فخافوا من قدرة إله اسرائيل الذي غلب إلههم ، فردوا تابوت العهد الى أصحابه .

فترى من هذه الأساطير العبرانية أن الآلهة منذ القديم كانوا يتحاربون بجنود رعاياهم

ولهذا كان الاسرائيليون يلقبون إلههم « برب الجنود » أي إله حرب يقودهم في جميع حروبهم

قلت : طبعاً هذه ميثولوجيا أي أساطير قديمة . أما الآن ...

فقاطعني قائلاً الآن كما كان زمان ، لا يزال الآلهة تحارب حروباً شرسة من الحروب القديمة . راجع تواريخ الحروب القديمة والحديثة تجد معظم أسبابها دينية مباشرة أو غير مباشرة ، أي انها صادرة من شهوات نفسانية ، ولكنها كانت تتوارى وراء غايات دينية ظاهراً أو باطناً .

لطالما شبت الحروب لأجل العقائد الدينية وكانت أشهرها الحروب الصليبية . وحتى العصر الأخير ما زال الهلال والصليب يتحاربان . ففي حرب البلقان كان ملك اليونان يطوف في مركبته في الشوارع وأيقونة المصلوب على صدره يستنفر بها الشعب للقتال

ولما فترت النعرة الدينية عند أمم الغرب أنشأت آلهة العصر ديناً جديداً تتفانى لأجله الأمم هو دين « الوطن » ، فكان شراً من الديانات السموية في تضحية شبيبات الشعوب على مذابح آلهتها .

ومع ذلك لا يزال الكهنة حتى الآن يرافقون الجيوش ، حتى الكهنة الذين يتلون الإنجيل القائل : « لا تقاوموا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر » . ولا يزال رجال الدين الروحيون يصلون الى الله أن ينصر جنودهم على أعدائهم . مع أن إلههم الآن يختلف عن إلـه اسرائيل يهوه رب الجنود بأنه إله صموي لجميع الأمم على السواء . ولذلك يدعون الله الآن في مأزق حرج لم يضع بنو اسرائيل يهوه في مثله . لأن الله العام أصبح لا يدري أي المتحاربين يستجيب صلاته

***

وبعض المؤمنين الذين يستهجنون هذا المنطق المتناقض يذيعون دعاية السلم ضد الحرب حتى ولو كان بالتسليم للعدو عملاً بقوله « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم » ، على أن أحدهم أخذ إذناً من الله رب الجميع أن يترك سياسة « حوّل خدك الأيسر » ويعود الى دستور يهوه رب الجنود .

فقد روى ... الكيريكيًّا ويلسيًّا كتب لسجين سُجن بسبب دعايته للسلم ضد الحرب يقول له ...

« تسألني : متى المسيح إلى حرب ؟ فأجيبك : اقرأ سفر يشوع الاصحاح الخامس عدد ١٥ [١] والاصحاح السادس [٢] فترى أن يسوع جاء الى العالم لكي يكون قائداً حربيًّا على شعب اسرائيل . وصفات يسوع لم تتغير حتى اليوم . وعقائد يسوع على الجبل انما هي دستور مملكة الجديدة . ولكن لما رأى الله أن الناس رفضوا هذا الدستور الجديد اضطرَّ أن يرجع الى دستور العهد القديم [٣] بصفة كونه يهوه رب الجنود لكي ينصر شعبه على أعدائه » . انتهى كلام الاكليريكي الويلسي .

فأي الخصمين هو شعبه الخاص الذي ينبغي أن ينصره ؟

وبقيادة يهوه يثير الحرب الآن آلهة ميثولوجيا العصر الذي أشرنا إليهم سابقاً مثل اسكندر ، وهانيبال ، وقيصر ، وجنكيزخان ، وشارلمان ، ونابوليون ، وغليوم ، وموسوليني ، وهتلر ... الخ . كل هؤلاء كانوا آلهة يتمدهم الجيش ويعظمهم الجمهور . وبعد دهر من الزمان يصبحون آلهة كجوبيتر ومارس وفينوس .

قلت : ولكن ما غرض هؤلاء القواد الحربيين الذين تسميهم آلهة من هذه الحروب المضنية التي تربو خسائرها على أرباحها ، وما الغرض لهم عليها ؟

قال : الغرض والهدف شيء واحد هو اشباع شهوة السؤدد في أنفسهم . هي أقوى شهوة في الانسان . متى شبع الانسان من غذائه الجسدي جاع الى غذائه النفساني وهو هذا السؤدد الذي يشمل المجد والقوة والجبروت .

قلت : ولكن حروب اليوم لم تعد تجدي كحروب الأمس . أفلا يظن هؤلاء الآلهة الشهوانيون أن حروبهم خاسرة على كل حال ؟

---

(١) قال رئيس جند الرب ليشوع اخلع نعليك من رجلك لان المكان الذي أنت واقف به مقدس . ففعل يشوع كذلك

(٢) الاصحاح السادس : كانت أريحا مغلقة بسبب بني اسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل . قال الرب ليشوع . أنظر قد دفعت الى يدك اريحا وملكها جبابرة البأس . تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب . . . الى آخر حكاية سقوط أريحا بصوتة رب الجنود

(٣) دستور عهد يهوه وبني

قال : الى الآن لم تزل شهواتهم تعمي أبصارهم فهم يخترعون عدديتهم التي تفوق عليهم من حسنات علومها آلات الحرب الجهنمية المنتنة . ان الخيرات العجراء ضلت والانسان لما يعلم بعد ـ ان المدنية الانسانية جاءت حاملة بين ذبالها أسباب فنائها. واسمع حكاية الحيتين

حرب التفاني

كانت الحدأة مطلة من عشها في الشجرة فأبصرت أفعى تحتها تتحين الفرصة للتسلق على الشجرة وغزو فراخ ذلك العش . فالحدأة ربطت جأشها وقالت للأفعى : أظنك حديثة العهد في هذه الناحية يا هذه والا لما جئت الى هنا، لأن أفعى أخرى سبقتك وغزت جميع العشوش التي يمكن الوصول اليها . فليتك تعبرين النهر الى البر الآخر حيث تستقلين بتلك المنطقة البكر وحدك فهي غضة الأشجار . وأشجارها ملأى عشوشاً . أطير الى هناك وأرشدك الى حيث يكثر صيدك، فاتبعيني عبر النهر .

فشكرت لها الأفعى هذه النصيحة وقالت : أخاف أن أتعب قبل أن أصل الى الشاطىء الآخر فقالت لها الحدأة ، أرافقك فوق الماء فكلما شعرت بتعب انذريني فأمسك ذيلك بمنقاري وأجرك مسافة ترتاحين فيها .

وما بلغت الأفعى الى الشاطىء حتى كان التعب قد أنهكها ، وأما الحدأة فما لبثت أن عادت أدراجها وقصدت الى الأفعى المستوطنة في الغابة الأولى وقالت لها : — أود أن أقدم لك خدمة جليلة جزاء عفوك عن عشي .

فقالت الأفعى الاخرى : ماذا؟

قالت : اسرعي عبر النهر الى الغابة الأخرى حيث قد عبرت اليه أفعى أخرى غريبة لكي تتمتع بالعشوش التي فيه . ولعلها وصلت منهوكة القوى لأنها ضعيفة وصغيرة . وأما أنت فتستطيعين أن تسبقيها وتطرديها وأنا أساعدك كلما تعبت فأمسك ذيلك بمنقاري وأجرك الى أن تبلغي الى الشاطىء .

— شكراً . على بركات الله .

وكان ما اتفقتا عليه . والتقت الأفعيان عند الشاطىء . ولما وقعت العين على العين وثبت كل منهما على الأخرى ثم التفت كل منهما على الأخرى فاغرتين شدقيهما فقالت هذه لتلك :

دعيني . هذه منطقتي

— بل هي منطقتي . وأنت دخيلة هنا . توجهين من حيث أتيت أو آكلك قبل أن تأكلي رزقي .

وفي الحال انحلت احداها من الأخرى وطفقت كلٌّ منهما تبلع ذيل الأخرى فأصبحتا كتابها كدائرة . وما زالتا تبتلعان كل منهما الثانية والدائرة تضيق الى أن صارت الدائرة نقطة . ثم اختفت النقطة اذ اختفت كل منهما في بطن الأخرى . ولم يبق شيءٌ منهما .

وكان نمر فوقهما يشاهد هذه المعركة الغريبة الى نهايتها العجيبة ، فالتفت الى الحدأة اذ كانت تشاهد المعركة على شجرة أخرى وقال لها ، لقد خدعتني يا ماكرة اذ دعوتني لوليمة على أشلاء هاتين الأفعيين . ولكن انتهت المعركة بفنائهما جميعاً . كيف يمكن هذا؟

فقالت الحدأة : لو لم أشاهد معارك تنتهي بمثل هذا الفناء لما حرّضت الأفعيين على القتال :

— كيف ذلك ؟

— ألا ترى معركة البشر الآن تنتهي بالفناء . فاذا كنت تنتظر أن تتغذى من أشلاء قتلى الناس فخيب أملاً . الأفضل أن نجد لنا يا صاحبي مستورداً آخر .

***

قال الناسك : هذه حقيقة عرفها الطائرات ولم يعرفها الانسان —

هكذا انتهت معركة الجبابرة التي تنتهي حروب هذا الزمن بالفناء لا غالب ولا مغلوب. والسبب فيها هو غرور آلهة العصر الذين تأنقوا وسيطروا على سذاجة الجماهير .

قلت : يقولون ان الحروب لازمة للتوازن بين دائرة العمران وتكاثر السكان حتى اذا ضاقت الدائرة وازدحم فيها السكان خفّفت الحروب هذا الزحام .

قال : عذراً . هذه نظرية . لله ما أسخف عقل قائلها . الرزق موفور للإنسان أكثر منه للحيوان . والعلم الحديث يستطيع أن يحوّل صخور الجبل الى بشر ما دامت هذه الصخور تحتوي على الكربون، وهواء الجو يحتوي على الأوكسجين والكربون والنيتروجين، وماء البحر يحتوي على الأوكسجين والهيدروجين، وسطح الأرض لم يزل يمد ويغذي عشرة أضعاف ناسها . وعلم الكيمياء يستطيع أن يبتدع من هذه المذكورات أحياءً يغذي بعضها بعضاً

فوجمت برهةً وأنا أفكر وهو يلقي نظرةً على مزرعته الى أن قلت : لله ، أما من وسيلة لرد هذا الانسان الأحمق الى عقله وصوابه وتفكيره ببلايا الحروب، عسى أن يتوب عنها ويعدل الى السلام بنظام عادل ؟

قال : يظهر أن الآلهة الصالحين يئسوا من اصلاح الجنس البشري الآن . فاليك خبر ماذا كان من مؤتمرهم بهذا الشأن .

صديقة النباتات الفطرية

ليست للحرب بل للاستعمار

ما من اختراع اخترعه الانسان الا سبقته الى مثله أو ما يشابهه الاحياء الاخرى من نباتات وحيوانات . وأغرب الاختراعات في فني اللاسلكي أو الراديو . وقلّ من يعرف أو يخطر له ان كثيراً من الحشرات سبقت الانسان اليه فان ذكورها تهتدي الى اناثها من بعد سحيق بحاسة لا تزال مجهولة .. وقد اختبر هذه الظاهرة الحشرية عالم مدقق في علم الحشرات اذ جمع طائفة من اناث نوع من الحشرات الطائرة من غابة وعاد بها الى منزله على بعد بضعة أميال من الغابة وحبسها في قفص كبير من الأسلاك الدقيقة . وفي اليوم التالي رأى عشرات من الذكور رابضة على أسلاك القفص . فطرد هذه الذكور . ثم نقل قفص الاناث الى ناحية لا تهب الريح منها الى الغابة بل بالعكس تهب من الغابة الى القفص على ظن أن الذكور تهتدي الى اناثها بواسطة رائحتها التي تنقلها الريح . فكانت النتيجة واحدة اذ جاءت الذكور من الغابة وتجمعت حول القفص . فبقي سر الاتصال بين الذكور والاناث على ذلك البعد أغمض من سرّ الراديو . والراجح عندي ان لهذه الحشرات جهازاً عصبيًّا كهربائيًّا كما للانسان ، فتصدر منها ومضات غير منظورة أو موجات كهربائية قصيرة جدًّا يتلقاها الذكر ويهتدي بها الى الانثى . وما يسمونه توارد الخواطر في البشر Telepathy هو من هذا القبيل فان دماغ الانسان راديو لاسلكي . ولهذا بحث خاص قد أعود اليه في حين آخر

والطيران ؟؟ فقد سبق الطيرانُ الانسانَ اليه كما سبقه في الارتقاء من ذوات الفقار من زواحف وغيرها

والغوّاصات ؟؟ وقد سبقت الانسان اليها حيتان البحر التي تدمر المراكب والسفن الصغيرة . وهناك حيوانات بحرية وبرية معاً

والذرور الكهربائي ؟ فقد سبقت الحشرة المسماة « سراج الليل » (وهي الحُباحِب) وبعض اسماك البحر الانسان اليه أيضاً . ثم ماذا ؟

والعبيدج حيوان بحري معروف انه ينفث حبراً اسود يعكر صفو الماء بحيث يضل منه خصمه، كما تنفث بعض أنواع المدافع دخاناً يكدر صفاء الجو فلا يعود الخصم يرى خصمه

وهل كنت تعلم ان هناك بعض أنواع النباتات الفطرية قد سبقت الانسان بضرب المدافع وقذف القنابل الى مسافات مختلفة من بضعة قراريط الى بضع عشرة قدماً ؟

واخالك تسأل على الفور كيف ذلك ؟ أجارٌ هذا القول ام حقيقة ؟ أجل هو حقيقة . يوجد نوع من الفطريات من طائفة « المشروم » Mashroom ليس له اسم عامي عندنا وانما اسمه العلمي Sphaerobolus وتحته صنوف مختلفة . وهو معلوم ان هذه الاحياء الفطرية تعيش على بقايا المواد العضوية الميتة، وتأخذ منها المواد النشائية والسكرية اللازمة لتوليد الطاقة فيها، ولذلك لا تحتاج الى الخضور Chlorophyll الموجود في النباتات الأخرى وهو الذي يستخدم نور الشمس لتركيب المواد السكرية والنشائية في النباتات . ولذلك ليس للفطريات اللون الأخضر الذي لسائر النباتات

لهذا الفطر المدفعي جهاز خاص لقذف قنبلة أو « كبسولة » تحتوي على الوف بزرات. هذه القنبلة كروية الشكل قطرها نحو ملليمتر وربع، تقذف من اسطوانة صغيرة نحو ٤ أو ٥ ملليمترات وقطرها كذلك . هي المدفع . وكلا المدفع والقنبلة هما ثمرة هذا الفطر . والخيوط Myceliums والبذرات Spores التي فيها ميكروسكوبية الحجم

ليس لمدفع هذا الفطر بارود أو أية مادة متفجرة لقذف قنبلة . وانما له جهاز من نوع الأجهزة القديمة لقذف القذائف، كالمنجنيق لقذف الحجارة الضخمة، وكالقسي لرمي السهام. فاذا مشت حشرة على هذا النبات الفطري المذكور آنفاً باسم سبيروبولوس ، أو اذا دغدغته بشعة أو بأي شيء مهيج، برزت ثماره الى سطوحه كما تبرز المدافع من الحصون . وفي كل ثمرة مدفع محشو بقنبلة . ثم ينقلب غلاف الثمرة الى الوراء بحيث أنه يترك فوهة المدفع بشكل نجمي تظهر من خلال القنبلة . وما هي الا ثوان أو دقائق حتى تنقذف القنبلة على بعد سنتيمترات أو اقدام .

قبل الانفجار أو الانقذاف ترى القنبلة جيداً بشكل كرة غائصة في سائل في قعر اسطوانة المدفع الذي يُرى بشكل كأس . واذا فحصت هذا الكأس بالمجهر (الميكروسكوب) وجدتها مغطاة بنسيج متصل الحراشي بشفة الكأس من فوق . فكأن هذا النسيج كيس مبطن للكأس . والقنبلة والسائل المحيط بها مودعان في هذا الكيس .

فالأمر الذي يحدث حين حدوث الانفجار أو القذف هو أن هذا الكيس المبطن المدفع من الداخل ينكمش أو ينقلب فجأة على نفسه الى الخارج بسرعة لا تقاس بحيث يصبح باطنه ظاهره . فتقذف القنبلة والسائل الى الخارج ، ويبقى هذا الكيس وقعره كقبة فوق فوهة المدفع . يحدث هذا الانقذاف بصوت مسموع كصوت « زنبلك » أفلت من قيده . وقد قرر رجينلد بوتر الذي كان يبحث في هذا الفطر ان هذا الانقذاف يستغرق من الوقت نحو جزء من ألف من الثانية بسرعة عظيمة جداً .

ان الذي يتحرك هذه الحركة السريعة انما هو ذلك النسيج الكيسي كأنه مادة مرنة فلتت من قيدها . وبعد الانقذاف ترى هذا الكيس كأنه قبة معدنية على فم الاسطوانة المدفعية . لكل مدفع قذيفة واحدة فقط .

ما الذي يتلف هذا الكيس بهذه السرعة ؟ وما هو ميعاد تلفه ؟ هذا سؤال لابد أن يخطر على بال كل قارىء .

متى قذفت الثمرة دور النضج برزت الى سطح نباتة الفطر . وربما كانت الدغدغة بالقشة أو بمشي حشرة على النباتة ضرورية لتحريض هذه البزور لكي يتم النضج النهائي فيها . متى تم النضج حدث القذف السريع على نحو ما تقدم . فاذا لم يقترب نضج الثمرة أي اذا لم يصل الى الحد المقرر فلا تبرز الثمرة الى السطح . واذا لم يتم النضج نهائياً فلا يحدث القذف ، لأن الطبيعة جعلت تمام النضج الوسيلة الفعالة لانكماش الكيس أو تقلصه ، كما أن بلوغ عقرب الساعة الى تمام الساعة يؤذن لزنبلك القرع أن يقرع أرقام الوقت مثلاً .

ولا بد أن يسأل القارىء ما الغرض من قذف هذه القنابل ؟ أو لماذا تقذف النباتة بزراتها الى مكان بعيد ؟

الغرض هو استعمار بقعة من الأرض غير البقعة التي تكون الأم فيها ، وإلا لسقطت البزرات كلها حول أمها وزاحمت بعضها بعضاً فلا تنبت منها إلا بضع كانت أسعد حظاً من غيرها بالانتفاع من البيئة . ولكل فعل سبب وحكمة ، هذه حكمة مدبر الكون .

لم ينتبه الى هذا الفطر العجيب الفعل الأحديناً ، فاستلفت علماء النبات والزراعة البحث والتجارب فيه ، فجعل بعضهم يربونه ويحسنونه حسب أصول التربية الزراعية ،

حتى استطاع بعضهم أن يحصل منه على فطر تندفع قذائفه لمسافة أمتار

وأول من اشتغل فيه الدكتور بولر من كندا فبلغت قذيفة فطره خمسة قراريط واشتغل « ماس » في انكلترا فيه فبلغتا قذيفة فطره قدماً . وبعض علماء الألمان أبلغوا القذيفة نحو متر . ولكن بولر اختبر هذا الفطر في كثيورا (كندا) فبلغت القذيفة نحو ١٥ قدماً أي خمسة أردات .

واشتغلت في هذا البحث الآنسة ليفا ووكر من جامعة نبراسكا في الولايات المتحدة فيما عثرت عليه من فطر السفيروبولس المذكور وربته هناك فاستطاعت أن تحصل على قذائف عمودية ، أي قذائف تقذف الى فوق على ارتفاع ١٤ قدماً وخمسة قراريط . وإذا كان زرع منه موضوعاً على مائدة ترى القذائف منه تتناثر الى السقف وتصدمه على ارتفاع ٧ أقدام

ووضعت الآنسة ووكر وضعاً أفقياً على زرع هذا الفطر حيث يتجه بدفعه اتجاهاً أفقياً . فكانت القذيفة تصيب جدار المكان الداخلي على بعد ١٧ قدماً وبعداً وما تجاوزت قذيفة منها فم المكان . وفي الوضع العمودي حصلت على قذيفة على ارتفاع ١٤ قدماً وخمس قراريط . ولكن الدكتور بولر الكندي وهو في جامعة نبراسكا أيضاً كان يحصل على قذائف عمودية على ارتفاع ١٧ متراً و٣ قراريط .

وكان لباتي هاو اسمه بثرا فدا اكتشف طريقة صناعية لتحريض السفروبولس على قذف قنابله من غير انتظاره المحن ساعة أو ساعات للقذف الطويل . فاستعمل الدكتور بولر هذه الطريقة فنجحت في قذف القذائف على ارتفاع ١٧ قدماً .

وفي المدة الأخيرة كانت تربية الفطر هذا موضوع مباراة بين نباتي انكلترا وكندا والولايات المتحدة . فقد فاز الاميركان المتسابقون منهم فيها بالأسبقية . أليست الولايات المتحدة سابقة في كل شيء بالضخامة والاتساع والارتفاع والسرعة والقوة ؟ فلا بدع أن تسبق في مضمار الفطر المدفعي .

* * *

وهناك أنواع من الأشجار الصغيرة أو الأجم تقذف بزورها الى مدى بعيد . وقد دل النباتي التساوي الشهير فون باربلون الى أربعة منها بالأسماء اللاتينية من طائفة واحدة ، والى أربعة أخرى من طائفة أخرى تقذف قذائفها من ٤٩ الى ٥٠ قدماً ، أي نحو ١٥ متراً . ولكن هذه النباتات كبيرة جداً بالنسبة الى الفطر سفروبولس . ولهذا يعتبر هذا الفطر أقدر منها على القذف بالنسبة الى الحجم . وانما تلك تمتاز بأن بزورها أكبر وأثقل .

وكاتب هذا المقال شاهد في احدى نواحي لبنان نباتاً سنوياً يرتفع نحو متر عن الأرض وينتج ثمراً بحجم بيضة العصفور وشكله . وهو يحتوي على عدد كبير من البذور في صائر أصفر شديد المرارة . والأهالي يسمون هذا الثمر « خيار الحمار » وبعضهم يظنه الحنظل . ولكن شكله وخصائصه لا تطابق وصف الحنظل الطبي المعروف . فليس هو إياه .

هذا النبات يقذف ثماره بزخم شديد الى مسافة عدة أمتار . فاذا وقفت في الحقل بين هذه النباتات (الأنجم) في زمن نضجها ترى الثمار تتقاذف كل هنيهة بعد أخرى هنا وهناك . حتى إذا أصابت احداها يد انسان مثلاً أكلته قليلاً . تقذف هذه النباتات قذائفها بقوة (غاز) بخار يتولد في بطن الثمرة نفسها فتنتفخ به ، حتى متى كثر البخار في باطنها اشتد ضغطه فيدفع المشيمة العالقة بأصل النباتة فتفلت الثمرة من المشيمة وتندفع بزخم شديد وتنطلق البذور في نهاية الانقذاف على الأرض حيث تهيأ للتفريخ في الفصل التالي من السنة . هذه القذائف الثمرية تشبه القنابل المنفجرة أو قنابل اليد المسماة «رمانات منفجرة» أو « قنابل رمانية » .

فهذه النباتات الفطرية وغير الفطرية قد سبقت الانسان في اصطناع المدافع والقذائف منذ دهور ، ولكنها لا تقصد بها محاربة غيرها حتى ولا الدفاع بها عن نفسها . وانما هي تقصد المنافسة في الاستعمار فتبعث بذورها (بزورها) الى مواطن أخرى تستعمرها لكيلا تهلك جميعاً وهي متزاحمة في مستعمرة واحدة غير كافية لاعالتها

اذن فالاستعمار سنة الله في خلقه . فلا ينكر الاستعمار على النبات ، حتى ولا على الحيوان والانسان . وانما ينكر على الانسان أن يحتل شعب منه بقعة من الأرض ويُهلك أهلها أو يطردهم منها الى حيث لا مقام لهم ويستغل أرضهم ، أو انه يستعبدهم ويشغلهم كما يشغل البهائم

النباتات اجتماعية عاقلة لكي تتفق على تدابير يشترك فيه الجميع على تحصيل أود الحياة . وانما البشر عاقلون يستطيعون أن يتفقوا على تدبير يمكنهم أن يعيشوا به جميعاً عيشة راضية من غير أن يقتل بعضهم بعضاً ويفني جانب منه جانباً آخر ، أو أن يستعبد فريق منهم فريقاً آخر . فأين الحكمة البشرية إذن . يلوح لنا أن النباتات الفطرية أعقل من الانسان

بلوطارخوس اليوناني

وكتابه التراجم والسير

هذا كاتب كان حقيقاً أن يذهب سمعه بيننا كل مذهب ؛ وأن يبلغ اسمه من الذيوع مبلغ الذين طارت شهرتهم من كتّاب العرب بالاعجاب ، وكتّاب الغرب الأقدمين فيتمرون على ألسن الأدباء منا والمتأدبين مذكوراً ، وفي مجالس العلماء ومذاكرات المتعلمين معروفاً معدوداً

وان كتابه (التراجم والسير) كان جديراً أن لا يكون معاشر المترجمين والناقلين للاسفار الأولين والمحدثين من فوارغ وعاقرة الغرب بطلاً في نقل هذا الكتاب الجليل ، وانه كان ينبغي أن يتبوأ مكانه في صفوف خزائن الكتب العامة والخاصة في ديارنا ، وانه كان ألزم ما يلزم ذكره من بين ما نذكر من أسامي الكتب ، عيونها وبدائعها التي ينشرها الناشرون ويطبعها الطابعون .

ولعمري انه لدرة عالية السناء لآلاءة الضياء في عقد جلائل المصنفات ، هو حريٌّ بأن يقتنى وان يحصى في الذخائر والنفائس . فما أحوجنا الى امثال هذه الكتب التي تنوّه فيها ذكر العظماء ، وسير النبغاء ، فيجد فيها رجالنا ، ولا سيما فتياننا ، الأسى الطيبة ، والمثل العالية ، فيحتذون حذوهم ، ويقتدون بحسن بلائهم ، وعجيب صنيعهم ، ومجيد مآثرهم ، وشمة اخلاقهم ، وعلو نفوسهم .

ولد بلوطارخوس المؤرخ الكبير والكاتب الأخلاقي الذي يعد مؤلف من الكاتبين ، في مقاطعة بيؤتيا Béotie في بلاد اليونان في ما بين عامي ٤٥ و ٥٠ م . في عهد الامبراطور كلود الروماني . ومن طرائف الدهر بالكتب أن بلوطارخوس كتب سيرته بقلمه في كتاب فقد في المفقودات .

تلقى بادىء علومه في مسقط رأسه كيرونيه احدى مدن بيؤتيا ، ثم شخص الى أثينا فدرس الطبيعيات والرياضيات ، وعلوم اللغة والبلاغة على أميليانوس ، والفلسفة عن امونيانس

حتى اذا تقع من هذه العلوم غلته ، رحل الى مصر ، فأقام فيها زمناً غير مديد ، وغادرها الى روما حاضرة الأمبراطورية الرومانية . وهنالك عرف الرومانيون قدره ، وجلّت فيهم منزلته ، وتفهموا علمه وأدبه ، فلمع في الآفاق نجمه وعلا ذكره ، حتى ارتفع به شأنه الى أن اتخذه الأمبراطور ادريانوس استاذاً له ومؤدباً .

وقد مكث في روما زهاء عشرين عاماً ، كان فيها أوفى العاملين لمصالح بلاده ، وأحسنهم سفارة عنها لدى حكومة الأمبراطورية الرومانية ، ولدى وجوهها وعظمائها ، وهو مع هذا ليس بالسفير المعين ، ولا المندوب الرسمي . ولم يصرفه هذا عن القاء المحاضرات ، وتدريس العلوم ، وارتياد المكتبات المختلفة يذوق ما اعذوذب وطاب من نفائس الأسفار ونفائر المدونات ، فتزوّد ماشاء أن يتزوّد منها في تصنيف مؤلفاته الكثيرة . وقد اتخذ له اصدقاء كثيرين من فلاسفة الرومان في ذلك العهد . وتوثقت بينه وبينهم عرى المودة وأسباب الالفة والتزاور .

ولما انتقل الى موطنه عرف له قومه ماقدم من العمل الصالح ، والخدمة الخالصة لبلاده ، فأجلوا استقباله ، وأحلوه أرفع منزلة فيهم ، فجعلوه حاكماً على ولايتهم .

وكان بلوطارخوس غزير المادة ، جم المعرفة ، وافر الكتابة . فهو أكثر كتاب عهده تصنيفاً وتحبيراً . بلغت مؤلفاته الثلاثين كتاباً بعد المائة ، في شتى المناحي ، وشُعَب المعارف ، في التاريخ والفلسفة ، والنقد ، واللغة ، والبلاغة ، والأخلاق ، فقد أكثر فأمست خبراً من الأخبار

وقد كان لبلوطارخوس في كتاب فرنسا في القرن الخامس عشر ، ولا سيما كتاب القرنين الثامن والتاسع عشر ، نفوذ كبير ، وأثر بليغ ، فالفيلسوف مونتسكيو كان كثير الرجوع اليه ، والفيلسوف روسو شديد الولوع به ، جم الانتجاع في الاطلاع على صنوف ماخلف من مصنفات . أما كتاب القرن العشرين ونقاده فما قصرت بهم جهودهم عن درسه ، ولا تخلفوا عمن سبقوهم في الاعجاب به والتواضي بالعناية بما حبر وصنف ، ولكنهم لم يفرطوا ولم يغالوا ، بل كانوا عند حد القصد والاعتدال في وزنه وتقديره ، فأحلوه في الطبقة الثانية بين كتاب زمانه .

وكان بلوطارخوس شمشماً لتأثر روما ، مكبراً لآثارها ، معجباً بمحاسنها وتاريخ مجدها ، ولكنه مع هذا كان متعصباً لبلاده وقلبه مفرط الحنين الى دروس اجلاله المحل الاسمى . يحز في نفسه أن يشاهد بعد عز المجد أبواب الذل والهوان ، ويملأ ما بين ضلوعه أسى ولوعة أن يجدها في أصفاد الرق قد أقفل أطباقها نير الاستعباد للحكم الاجنبي الروماني . ويعد بلوطارخوس آخر فلاسفة اليونان ، والفرع الاخير من شجرة حكمائها ، وأحبهم لديهم ، وادناهم الى قلوبهم .

* * *

وأشهر كتبه ، وذؤابة مصنفاته كتابه في (التراجم والسير) أو حياة مشهوري اليونان والرومان Vie des hommes illustres de la Grèce et de Rome وهو خليق أن يسمى (التراجم المقارنة) اذ هو كتاب ضخم قد ضم بين جلدتيه تراجم وسير نحو الخمسين عظيماً من أولئك الذين كانوا في التاريخ شموساً وكواكب ، من كل عصامي أو عظامي طار بأجنحة النسور شهرة ومجداً ، بين فاتح وقائد وخطيب ومشرع وسياسي وعالم عامداً فيه الى المقارنة بين عظيمين عظيمين من اليونان والرومان ، فسرد سيرتهما ، وأتى على ذكر أعمالهما وآثارهما ، وذكر فيما يتشابهان ، وفي ما يختلفان ، ثم يستخلص من ذلك رأياً ويخرج بحكم فيه فصل الخطاب في ذينك الرجلين . مثال ذلك مقارنته بين سيرتي تيزن أقدم ملوك اليونان ، وروموالوس أقدم ملوك الرومان ، ومقارنته بين حياة لوكورج المشرع الاسبرطي ، ونوما بومبليوس ثاني ملوك روما ؛ وبين دموستين أشهر خطباء اليونان ، وشيشرون أشهر خطباء الرومان ؛ وبين اسكندر القائد والفاتح اليوناني ، وقيصر القائد والفاتح الروماني . ولا يزال آخذاً بيدك يوالي عليك عرض هذه الصور لأولئك العظماء مفصلاً ، مدققاً محللاً حتى تخرج من تلاوة هذا السفر العظيم بعلم كثير من آثار العبقرية ومجال النبوغ في حياة الرجال ، وعوامل العظمة في مراحل التاريخ واطواره ، وشأن الاخلاق في تصرفات الامم وأحوالها . وتأهيلها بذلك عبرة وقائدة ترجح في الوزن على نفيس الجوهر

أحمد أبو الخضر حنفي

معجزات الزراعة

العصرية وآلاتها

* ألن تسخر الحكومة وسعاً في تشجيع استيراد الآلات الزراعية. وهي حليفة لتدبير النقد الأجنبي اللازم لشرائها من الخارج، للسكان الأول من اعتمادها. كما أنها لن تعرف مقدار ما تجاوزه هذه الآلات رقابة دقيقة فعالة، حتى يتمكن الزراع من اقتنائها بالأسعار المعتدلة في حدود ما يجيزه نظام تحديد الأرباح. وذلك رأينا، إبقاءها في نطاق هذا النظام. وسنطلب الى فاصل مصر وملحقيها التجاريين في الدول الأجنبية الشهيرة بانتاج الآلات الزراعية موافاتنا بالبيانات عن كل ما يستحدث من هذه الآلات وأسعارها. وسنعمل على نشر هذه البيانات أولاً فأولاً.

من بيان معالي وزير التجارة في وسائل مكافحة الغلاء، التي ألقاه في مجلس النواب في مساء ٢٩ / ٣ / ١٩٥٠

جدير بزراعتنا الاغتباط بهذه البشرى التي زفها إلينا معالي الوزير في بيانه البليغ الخطير المسهب المشار إليه في صدر هذا البحث. ولا يسعنا إزاء ذلك، إلا التضرع الى الله تعالى لتحقيق هذه الآمال عاجلاً. ومما يذكر في هذا الصدد، أن كلية الزراعة في مدينة دافيز وهي إحدى كليات جامعة كليفورنيا بولاية كليفورنيا، قد سبقتنا في هذا المضمار. وشعارها في هذا الميدان: على الدوام. فليس لدينا أي عمل مستحيل في سبيل تحسين الزراعة في كل آن. ولابد لنا من اختراع الأدوات والآلات التي تفي بالمرام».

وتستوي في ذلك عندهم، المعامل الكيماوية والمستنبتات الزجاجية الواقية للنباتات، فالحقول الأنيقة الخاصة بتجارب المزروعات، تم عناية علمائهم بها. لأن العلماء متى تبينوا أن الطبيعة لا تتعاون مع عصر الآلات، عمدوا الى تغيير الطبيعة، وفيما يلي أمثلة لذلك:

(١) — *آلات جني الأقطان*: قالت إحدى المجلات الأمريكية الفنية، في هذا الباب، ما يأتي: —

لا تستطيع الآلات الميكانيكية المستخدمة الآن في جني الأقطان جمع الشوائب القطنية التي توجد في الأجزاء السفلية من عيدان القطن. لذلك جعل علماء فلاحة الساتين في تلك

الكلية ، لا يدّخرون وسعاً في تربية نبات قطن لا ينتج لوزاً في العقد ٥ البرعمات ، الست السفلية من ساقه . كما إنهم يسمّدون سمياً حثيثاً في سبيل إنتاج نبات قطن يستقط ورقه ، حالما يجين جني ثمره .

وهذا مما يحول دون تلوث شعر القطن بفتات الأوراق الذي يلتقط حينما تجرد الآلة الميكانيكية الجانية ، لوز القطن ، من محتوياته .

(٢) — ﴿ فرّازة ثمرز البرتقال الذي يتلفه الصقيع ﴾ — واخترعت في أمريكا آلة ، قوامها أشعة رنتجن . ثمرز البرتقال الذي يتلفه الصقيع ، فرزاً أوتوماتيكيًّا ، فتنبذه فصيًّا . إذ المعروف أن التلف الذي يلحق البرتقال ، من الصقيع ، قلما ينطن له الناظر الى السطح الخارجي للبرتقالة . فلا مندوحة إذن للزارع ، عن فحص قلب البرتقالة ليثبت له تلفها . فيتسنى له الاستغناء عنها . ولهذه الآلة الكهربية ، سيران من الجلد ، لا نهاية لها . ينقلان البرتقال ، كل واحدة في قدح خاص . فتمرّ البرتقالة في جوف الآلة . ومتى تدخل فيها البرتقالة ، تمرّ تجاه آداة تزن حجمها لكي تضبط أنبوب جهاز الأشعة بحسب ثقل البرتقالة . ثم تمرّ البرتقالة فوق أنبوب الأشعة ، حيث يلتقي جزؤها المؤوف ، صورته الملتمة . فتتلقى هذه الصور أربع علب معدنية لعجل صيرها ، إذ تدفع البرتقالة في أحد مخارج الآلة الثلاثة ، طبقاً لدرجة سلامتها من التلف ومقدار ثقلها . وتستطيع هذه الفرّازة في ساعة واحدة فرز ٣٦٠٠٠ برتقالة .

(٣) — ﴿ آلة لتقليع شجيرات الطماطم وجني محصولها ﴾ : المعروف عند الزرّاع أن جني محصول الطماطم ، عمل من الأعمال الزراعية العسيرة . لأن ثمارها لا تنضج في وقت واحد . فيضطر زارعها الى جنيها بالأيدي عدة مرات في موسمها . فيكلفه هذا العمل نفقات باهظة . لذلك عكف علماء الزراعة في كليفورنيا ، على تحسين نوع من نبات الطماطم ، لتنضج ثماره جميعها في آن واحد .

كما عمدوا الى صنع آلة تقوم بتقليع النبتة بأجمها من تربتها . ثم تهزها هزًّا جيداً حتى تنفض ثمارها كلها في صندوق معدّ لها .

(٤) — ﴿ شجيرات خروع مُهجَّنة وحصّادات لها ﴾ : يستورد الآن صناع البوية

في بلاد الولايات المتحدة الاميركية ، نحو ٣٠٠ مليون رطل انكليزي من بزور الخروع في كل سنة . وذلك من الأقطار الشرقية . وتستعمل الزيوت التي تعصر من هاتيك البزور ، في صنع دهان اللاكيه ، لوفرته من سهولة التفتت والتشقق . كما تُستعمل وسيلة لتجفيف أنواع الدهانات الأخرى وتعجيل تثبيتها في السطوح التي تُدهن بها .

وهذا النبات النفيس الذي يُزرع في ولاية كليفورنيا ، كما ينبت في بلاد قارة آسيا ، يبلغ ارتفاع شجرته ثلاثين قدماً . وتنتج قرونه نضجاً غير منتظم . ثم تتساقط منها بزورها . وفي الأقطار الشرقية حيث تكون أجور العمال مخسة ، يجني الزراع بزور هذا النبات التقاطاً بأيديهم ، حينما تسقط على الأرض . أما في بلاد الولايات المتحدة الاميركية ، حيث ترتفع أجور العمال ، فيتعذر اتباع هذه الطريقة الحسنة ، وذلك لفداحة نفقاتها هنالك .

وقد حلَّ ذوو الشأن الاميركيون هذه المشكلة ، بتوليد بزور خروع تُنبت شجيرات لا يزيد ارتفاعها على ست أقدام أو سبع أقدام . وتنتج قرونها نضجاً متساوياً ولا تسقط بزورها من القرون . ثم مالبثوا أن صنعوا في جامعة نبراسكا ، محصدة لتجرد القرون من بزورها . أعني آلة لتفريطها . فتقوم هذه الآلة بتفريط البزور . ثم تدفعها الى عصارات لتعصرها . فكان هذا الحلُّ خير الحلول للتخلص من فداحة أجور العمال . وتدلُّ أحدث الأخبار أن هذه النباتات المهجَّنة وحصاداتها ، قد انتشرت واستعملت تجاريًّا من أواخر السنة الماضية .

(٥) — ﴿ تلقيح ملكات النحل تلقيحاً صناعيًّا لا كما أنفع المزايا واختراع جهاز يدوي لذلك العمل ﴾ : ولم يتوان العلماء في تكييف طريقة تلقيح أزهار الفواكه ، بوساطة النحل ، تكييفاً من شأنه ، تعجيل ذلك العمل . فتراهم اذا ما ثارت العواصف في موسم الازدهار ، فاختفى النحل ، ليتقي شرها ، « وهذا مما يضعف محصول هاتيك الفواكه » طفق العلماء يبتدعون ذلك العجز .

ومن العلاجات التي يلجؤون اليها وفتئذٍ التوسل بالتلقيح[1] اليدوي وذلك بوضع بعض

(١) الكاتب ، راجع مقالنا في « وسائل تحسين الزراعة » ، التي نشرت في منتطف نوفمبر سنة ١٩١٩ »

ذرات من اللقاح عن كل زهرة ، بوساطة فرشاة صغيرة. بيد أن هذا العمل يقتضي مجهودات جسمية . لأن رجلاً واحداً لا يستطيع في اليوم، جمع اكثر من أواقٍ قليلة من ذلك اللقاح على حين يكون في وسع محل خلية واحدة ، جمع رطلين انكليزيين ، من اللقاح عينه كل يوم . فلا بدَّ إذن من جعل النحل يؤدي هذه الوظيفة وحده أي (جمع اللقاح) ثم أخذه منه لاتمام سائر العمل على أيدي الزراع المختصين . لذلك لم يفتر علماء فلاحة البساتين وزملاؤهم علماء الحشرات، في اختراع شَرَكٍ صغير يُنصبُ في مدخل خلية النحل، ليجرده من اللقاح المنشود ، طالما يهمُّ بولوج خليته . كما غدا النحل نفسه يتلقَّى من علماء الحياة عناية تامة، مما يجعله يستفرغ جهده في عمله . فيعمر طويلاً وينتج انتاجاً سريعاً ، ويقاوم المرض مقاومة شديدة ، ويلسع لسعاً قليلاً . فينجم عن هذه الوسائل جميعها ، انتاجه عسلاً جزيلاً أكثر من المألوف . ويتاح للقفر بهذه الآلية بطريقة واحدة هي « انتخاب الأصلح من أنواع النحل » التي تتوافر فيها تلك المزايا برمتها ثم استعمال عناصرها التناسلية ، في تلقيح ملكات النحل بها ، تلقيحاً صناعيًّا . ولذلك اخترع العلماء المتخصصون في هذا الفنّ ، جهازاً دقيقاً محكماً ، مؤلفاً من أسلاك معدنية وتروس صغيرة جدًّا وميكروسكوب . وهو المعروف عندهم باسم « جهاز لايدلو اليدوي لتلقيح ملكات النحل به » نسبة لمخترعه الدكتور هـ . د لايدلو الصغير . وهذا العالم هو الذي يزاول تجارب النحل في الكلية المذكورة آنفاً .

(٦) — « أشجار تنتج لوزاً صغير الحجم لحشو الشكولاطة » : ثم إن الكلية تتعاون مع المصانع على تنفيذ مطالبها الفنية . ومثالها : إن صناع الحلوى والشكولاطة والفواكه المنكرة والملبس والبستيلية، شرعوا في إنقاص ضخامة مصنوعاتهم ، وذلك عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حتى صارت أخف مما يلزم لتغطية لوز كليفورنيا الكبير الحجم . فطلبوا الى علماء الكلية ، توليد شجر ينتج لوزاً صغير الحجم . فلبوا طلبهم إذ أنتجوا الاشجار المنشودة ، انتاجاً جزيلاً فأصبحت شائعة للغرس التجاري . ولكن العقبة التي نشأت فيما بعد حالت دون انتشار هذا النوع من اللوز ، هي استئناف أرباب معامل الشكولاطة ، صنع قوالبها كبيرة الاحجام ، كما كانت أصلاً .

(٧) — ﴿ فرازات تفرز الفواكه طبقاً لأحجامها وألوانها وسلامتها من التعطيب ﴾ وكثيراً ما يتحد مهندسو الكليات اتحاداً وثيقاً مع صناع الأطعمة ، في اختراع آلات جديدة للانتفاع بها في إعداد مصنوعاتهم . ومن أحدث هاتيك الآلات ، جهاز كهربي لفرز الفواكه لأجل صناعة المربى . وقد تم في فصل الصيف الفائت ، إنتاج طائفة كبيرة منه للأعمال التجارية . وفي إمكان هذا الجهاز تقسيم البرتقال ستة أنواع مختلفة بحسب أحجامه ، وذلك بمعدل ٢٤٠ ليمونة في الدقيقة ، كما إنه يستطيع فرز البرتقال وغيره من الفواكه ، على هذا النمط ، إذا كانت من الأصناف الصغيرة التعطيب . وتدور هذه الآلة بالطريقة الآتي بيانها : —

تفرغ أحمال البرتقال في جوف الآلة . ثم ترص الواحدة بجانب الأخرى ، على شكل صف طويل مفرد ، حيث تنقل على سير دوّار لا نهاية له . وفي نهاية دورة السير ، يتساقط البرتقال في شعاعة من الضوء موصلة الى باب عمومي في أسفل الآلة ، حيث تتلاقى سائر أجزاء الآلة . وحينئذٍ تقوم كمية الضوء التي تعترضها البرتقالة ، كبيرة كانت هذه الكمية أم البرتقالة الكبيرة ، أو صغيرتها بإزاء الصغيرة ، بتحريك الصمامات الكهربية للقيام بوظيفتها . وهي ادارة مجددات التيار الكهربي . فتفتح أية واحدة من البوابات الخمس المختلفة الأحجام لتدفع البرتقالة الى السير المتحرك الذي ينقلها الى مستودع التعبئة . وكل برتقالة تعجز عن المرور في البوابات ، تدفع الى نافذة في طرف البوابة العمومية التي تتلاقى عندها أجزاء الآلة . ولكل وحدة آلية تتفق مع هذه الآلة ، فرازة الأحجام ، وهي على وشك الظهور في الأسواق ، تقوم بترتيب الليمون وغيره من الفواكه طبق ألوانها . ويأمل المهندسون أن الخطوة الأخيرة في هذا الميدان ، ستكون ضم تينك الآلتين ، إلى آلة التعبئة . وذلك بوساطة سنابك . وحينئذٍ يمكن الزارع القاء فواكهه مختلطة مابينها بنابلها ، في طرف ، الآلة ، فتبرز من طرفها الآخر ، صنوف من العلب معبأة بالفواكه ، تمهيداً لنقلها بالسفن الى البلاد الأجنبية .

(٨) — ﴿ حصادات القصل تقوم بتقليعه ورفعه وتشذيبه وتعبئته في أكياسه ﴾ وستحوّل عما قريب التصميمات الخاصة بحصادات القصل الجديدة ، الى صناع الأجهزة في

أمريكا . ومحصدة البصل هذه آلة يجرها جرار ، لتؤدي أربعة أعمال : هي التقليع والرفع والتشذيب والتعبئة في الأكياس . والمحصدة سلاح ماض يغور في التربة مثل سكة الحراث حيث تقتلع جذور البصل . وطا أيضاً أيدٍ من الكاوتشوك تقبض على شواشي البصل ثم تلفها لفافين لافتين من السيور الدوارة . حيث تقبض عليها قبضاً وثيقاً . على حين تقوم مدية بتقطيع الشواشي من اللب . ثم تنقل الشواشي الى مؤخر الآلة . وذلك على جهاز من السيور . ثم تكرم على الأرض . بينما تنقل سيور أخرى لباب البصل الى زنبيل . ومنه تنقل إلى الأكياس . وحينما يمتلىء الكيس بالبصل ، تقوم الآلة باغلاق فمه وتنسيقه على سطح الحقل ، تمهيداً لنقله بعربات النقل .

(٩) — ﴿ بطيخ صغير حلو جداً ﴾ وظهرت حديثاً في أسواق بلاد الولايات المتحدة الأمريكية ، بزور جديدة للبطيخ تنتج بطيخاً ، سهل المنال ، يلائم العائلات المتوسطة الأفراد عدداً . وحجمه لا يزيد على نصف حجم البطيخ الأمريكي المألوف . إذ يبلغ وزن البطيخة منه ١١ رطلاً انكليزياً . وهذا مما يسهل وضعه في الثلاجات المنزلية وضعاً محكماً . حيث تقدم البطيخة كمادة حلوة للتحلية عقب تناول الطعام المعتاد فتستهلك العائلة البطيخة بأجمعها من دون إبقاء أجزاء منها لتؤكل فيما بعد . وربما لا يتيسر أكلها في الميعاد الصالح لتناولها . فتتغير تافهة الطعم أو فاسدته فتلقى في صندوق القمامة . وهذا النوع الحديث من البطيخ أحلى من سابقه . كما إنه يفضل أغلب الأنواع التي تباع الآن في الأسواق الامريكية . ولذلك يتوقع العلميون أن الزراع سيؤثرون زراعته على غيره . لأنه يقاوم مرض الذبول . فضلاً عن كونه تسهل تعبئته في الأقفاص كالسنطاوي والقاووني . فيقل تعرضه للتلف عند نقله من مكان الى آخر .

(١٠) — ﴿ مزرعة للنباتات الطبية والتجارب العلمية ﴾ — وفي جامعة شيكاغو ، مزرعة صغيرة يزرع فيها كثير من أنواع النباتات . ومنها زهر الكشاتبين foglove المستعمل لاستخراج الديجيتال ، وكذا نبات الخشخاش ومنه ينتج المورفين ، وغيرها من النباتات الطبية . وذلك في تربة مشبعة بغاز الحامض الكربونيك الذائي الاشعاع . وبهذه الوسيلة قد شرع علماء الولايات المتحدة الأمريكية ، يدركون كيفية تأثير العقاقير . وأسفر هذا البحث عن نتيجة نافعة ، وذلك عند ادخال قليل من ملح الطعام المشع في غذاء بعض الناس . اذ كان علماء جامعة شيكاغو جيماً يزعمون أن الملح يذوب في الجسم ذوباناً بطيئاً الى حدٍّ ما . ثبت لهم أن الملح المشع يتعقب من صام أكله عقب تناوله اياه بدقيقة واحدة .

عبد الحميد مندور

النسور

زفت إلى الدنيا البشا رة بالربيع مزفرده
فاهتزّت الأفنان تهتف للبشير معربده
وتشوّفت مقلٌ مسهدة وجاشت أفئده
والنهر سقّى النبات بنشوة المتهجده
تلقى الطبيعة في الربيع استيقظت متمرده
والأرض بستان تضوّع بالشذا والريح لحنُ

***

أرأيتها حين اعتلتْ متن الغمام محلقه
راحت كلمعةِ بارقٍ تطوي الفضاء بمفرقه
تتداح في الأفق الفسيح كموجةٍ متدفقه
وتهيم تضرب بالجناح ذرى السمائم محنقه
والريح أسلمت القياد لها وأغضت مطرقه
والفجر من خلل السحاب كأنه ـ إذ لاح ـ جفنُ

***

نشرت جناحاً خاله الرائي لرقته غماما
دقت طرائقه لحاكى في طرائقه الحماما

وتجهمت جنباته فكأنه ادّرع الظلاما
وطوت جناحيها نخلة ملاءةً طويت لماما
والرأس شابه حلة الـ شدي التي انتفضت هياما
عصفت بها الاهوا فاختلجت كما — لو ماس — غصنُ

***

هتفت فصفق مردقٌ لطلائع الفصل الجديد
والقلب حلق من حميّا الـــوجد في أفق بعيد
تهتاجه فتن الشباب تشع من مقل وجيد
فيصوغ من وحي الجمال وفنه فتن القصيد
ألحانه فيضٌ من الآمال تزخر في نشيدي
وبكل قافية له من معجز الابداع فنُّ

***

من أنت حين شدوت للسمار في الليل العميق
فد شام قومٌ في خيالك الوسيم سنا الشروق
ورآك قوم منهلاً عذباً تسلسل كالرحيق
وأراك أمنية الحليم وفتنة القلب المشوق
أعـربت للعشاق حين شدوت عن معنى دقيق
وانزاح عن صدر المعنى غيب وأنجاب دجنّ

(يتبع) عبد الله سرحان

العروبة الجبارة

شيخ العرب مع جمال باشا

حدث هذا الحادث في آخر الحرب الكبرى الأولى، وكان اسم جمال باشا قائد الجيش الرابع في سوريا يرهب الناس لما كان يأتيه من الظلم والشنق في من يقال انهم أعداء الدولة، فكان ذلك سبباً لأن يلقي الرعب في قلوب الناس. ففي أواخر الحرب حدث ما يأتي:

دعي الأمير الاي جدي بك الى مكتب خصامة جمال باشا قائد الجيش العثماني في سوريا يصحب معه شيخاً من مشايخ العرب، تمس الحاجة من أخبرها ليسد أمراء العرب الأمير، طويل القامة، معتدل الهامة، عريض المنكبين، كبير الرأس، طلق المحيا، مشرق الطلعة، مقرون الوجنتين، عريض الشاربين، كث اللحيين، ممتلىء الساعدين والكفين، وكل ما فيه يدل على أنه من جبابرة العصر، تكاد عيناه تقدحان شرراً لصولته، وممتلىء شجاعة الذكاء الساطع. وتكسو دقنه طية عريضة طويلة تعمر عنقه وأعلى صدره، وقد وخطها الشيب قليلاً. وفي نظراته وقار يدل لديه جبروت الملوك والقواد.

لما دخل قال: «السلام على خصامة القائد الكبير جمال باشا» فما شعر جمال الا وهو يقف أخيراً بوقار هذه الهيبة. ثم قعد توًّا. ورأى الشيخ الى يمين مكتب جمال باشا مقعداً فاستوى عليه. فاستغرب جمال باشا كل الاستغراب أن الشيخ قعد من غير أن يؤذن له يوماً قعد أحد في حضرة جمال، فكيف يجسر هذا الشيخ أن يقعد. بل قل ما من أحد من الناس مهما كانت صفته ورتبته وقف لدى جمال باشا أو واجهه الا ارتعد فرقاً. لا لأن هيبته رهيبة، بل لأن ما سمع عن جبروته في التنكيل والشنق وقسوة الاضطهاد قد اشتهر في جميع الأقطار التي تحت سلطانه وتجاوزها الى غيرها. فكيف جسر هذا العربي أن يقعد غير مبال بجبروت جمال. ولكن هناك هيبة العربي تغلبت على الجبروت المصطنع. فلذلك لم يجسر جمال أن يتهم الشيخ ويسأله كيف يقعد من غير اذن. ولكن جمالاً قال لضابط جدي بك المترجم بالتركية: «قل له: انها لقلة أدب منه أن يقعد من غير استئذان».

فارتبك حمدي بك واستصعب أن يترجم هذا القول للشيخ الوقور. على أن جمال التفت إليه وقال: «لماذا لا تقول له؟».

فقال حمدي بك بالعربية للشيخ: «لم تجر العادة أن يقعد أحد في حضرة القائد الأعظم قبل أن يأذن له».

فقال الشيخ: «ولكن العادة عندنا أنه متى دخل علينا أي انسان مهما كان وضيعاً نرد له التحية ونشير إليه في الحال أن يقعد: أما قائدك فلم يرد التحية».

فترجم حمدي بك هذا الكلام بحروفه. فقال جمال موجهاً الخطاب الى الشيخ: «ألا تعلم انك معتقل»؟

فباغته الشيخ بالتركية، لأنه يعرفها جيداً منذ كان طالب علم في الاستانة: «لا لست معتقلاً» وما جئت الآن أحد الضباط قال لي أن جمال باشا يريد مقابلتك، فأسرعت الى جمال باشا لأرى ماذا يريد مني. ولو قال ذلك الضابط اني معتقل ما ترددت في المجيء أيضاً.

فقال جمال: «إذن علمت الآن انك معتقل».

الآن علمت انك تبتغي اعتقالي. ولكن اعلم انه لا يستطيع أحد أن يعتقلني. فأنا هنا أدخل وأخرج بكل حرية.

فقال جمال: لا تظن اننا نحسب حساباً لهذه المنجهية العربية.

فقال الشيخ: «نحن لا نعتمد في معاملة القواد والأمراء والملوك على المنجهية بل على القوة الحقيقية لا الوهمية».

وكان جمال ينظر فيه وكل هنيهة يغض نظره لأنه لا يستطيع أن يسد القوة النفاذة التي في عينيه. فقال له — «ماذا تعني؟»

— أعني أن عندي الوفاً من المقاتلين، كل واحد منهم بعشرة من جنودك. وعندي من البنادق الحديثة الطراز الوف كل بندقية منها تحطم عشراً من بنادقك. وعندي مئات من المدافع الضخمة كل مدفع منها يحطم عشرات من مدافعك القديمة. وعندي ...

فصاح به جمال وكاد يفهم ما يقول: «صه، صه كفى تهويلاً. هذا التهويل لا يقلقل قدمي في موطئها. ما اسمك؟

— اسمي زعيم العرب الأكبر

قال محتداً: — اسمك. اسمك. اسمك؟

— ألا يعجبك هذا الاسم؟ ماذا يهمك ان كان اسمي علياً أو محمداً ما دام هذا الثوب يشمل شيخ العرب كلهم؟ ألم تفهم بعد أنك تخاطب أمير جميع أمراء العرب؟ والا فقل:

كيف تستقل شخصاً لا تعرف من هو ، حتى اسمه لا تعرفه

فغضب جمال حتى كاد ينقض بسيفه ولكن يده خانته ولم تلمع فقال للبرالاي حمدي : خذه الى البهو الآخر ينتظر فيه الى أن أدعوه

فأبلغ حمدي الى الشيخ هذا الأمر وأشار اليه أن يقوم فقال الشيخ : ان كانت مهمة جناب القائد قد انتهت فأخرج نهائياً . والا فلن أخرج من هنا حتى ينتهي غرض جمال باشا مني

فقال حمدي : يريد فخامة الباشا أن يختلي ببعض الأشخاص هنا

— فليختل بهم حيث هم ينتظرون لا هنا .

فنظر فيه جمال نظرة حادة وما لبثت نظرته ان تكسرت لدى نظرة الشيخ . ثم نهض متغيظاً وخرج الى بهو آخر واستدعى بعض الأنصار الكبار من العرب وسألهم : ما ذا تعرفون عن هذا الشيخ الذي عندي الآن ؟

فقالوا نعرفه انه زعيم الوحدة العربية . وقد جمع كل امراء العرب فانضموا تحت زعامته مقتنعين .

فسألهم عن اسمه . فقال أحدهم يقال أنه يدعى الأمير سطام الأعظمي

وفيما كان جمال لا يزال يسائل الأنصار عنه قام الشيخ من مكانه واتجه الى شباك يشرف على الميدان الذي أمام القصر دار القيادة العليا . فاعترضه حمدي وقال له: ان يقعد في مكانه لئلا يأتي جمال ويراه يطل فيغضب . أما الشيخ فلم يبال بل اطل من الشباك وأجال نظره في من يتمشون في الميدان وأبدى اشارات لم يفهمها حمدي

ثم دخل جمال وغضب اذ رأى الشيخ لدى الشباك . وقعد كل في مكانه . وقال جمال : علمت لماذا أنت معتقل ؟

— قلت لك أني لست معتقلاً . لا يستطيع وزيرك ولا رئيس وزارتك ولا سلطانك أن يعتقلني . فأقلع عن هذا الزعم الموهوم . وقل ماذا تريد مني ؟ كفى دعابة يا باشا

قال جمال . الست أنت الذي جمع جميع قبائل العرب في اتحاد عربي عام :

— نعم . أنا هو . نعم جمعتهم في اتحاد عربي شامل جميع العرب .

— وعرب الحجاز أيضاً ؟

— نعم وعرب نجد واليمن وتهامة وحضرموت والبحرين ، وبعد ذلك عرب سوريا والعراق ، وبعد ذلك مصر وفلسطين ، وبعد ذلك مراكش وتونس والجزائر . فماذا بعد ؟

— إذاً لا تنكر خيانتك للدولة .

— معاذ الله . ليست هذه خيانة للدولة بل هي أمانة للعرب .

وكان جمال يتظاهر بعدم تسليم كلام الشيخ مظاهر الحزب وبكلامه وتمثيله على شدة عزمه . فهذا الذي كانت ترتعد فرائص الناس من نظراته القاسية شعر التهديد كاد ينتفض جزعاً من جراء كلمات الشيخ التي كانت تصور له جيوش العرب التي تناهز الثمانين مليوناً متألبة على الترك وكادت تتغلب على حلم كان يحليه . فأجاب بتؤدة — ماذا تريدون من اتحادكم هذا ؟

فقال بسطام بامتعاض منطق — هذا حلم عربي واسع النطاق نريد به استقلالنا لا اصلاح أحوالنا لأننا أصبحنا على شفا انقلاب عظيم في هذه الحرب التي تضع أوزارها قريباً . فنود أن نرتب أمورنا منذ اليوم . نحن متحدون تمام الاتحاد . فاذا رامت الدولة العثمانية أن تنتفع من اتحادنا فلتسد أوزارها وإلا فليتم بغيرنا مستقلين .

فقال جمال منتشياً : ان مصيبة « الدولة العلية » جاءت عن يد العرب .

فأجاب الشيخ بحدة وجف لما قلب جمال الصلب : لا ، بل مصايب العرب والاتراك أيضاً جاءت من نفس الدولة التي تسمونها « الدولة العلية » لو أحسنت الدولة للعرب وجميع رعاياها وعاملتهم بالعدل وحسنت الأحوال الاجتماعية والاقتصادية وقصرت همها على الاصلاح لكانت اليوم تحل محل الامبراطورية الرومانية ، وكانت سيدة الدول . فكانت الدولة العثمانية تملك أكثر مما كانت تملك الامبراطورية الرومانية في إبان عزها . وكانت الامبراطورية البريطانية تخشى الآن سؤددها وكان الفخر الذي للانكليزي والتبجح الذي يمتاز به لك ولي . . .

وفي تلك اللحظة دخل ضابط وقدم للقائد العظيم تلغرافاً ورد من خط القتال . ففضه فرأه جمال امتقع لونه . فأدرك الشيخ بسطام أن التلغراف ينذر باخفاق الجيش في القتال . وبقي جمال برهة متجهماً يضرب أخماساً بأسداس . ثم قال — لقد تمادينا في الفسحة وأنت معتقل . خذه يا حمدي الى السجن .

فتقدم حمدي بك الى الشيخ ليكبل يديه . فانتفض الشيخ وزرق وقال : كفى ما أنتم فيه من غرور وعجبية وحسبكم هذا الهذيان . عد الى مكانك يا حمدي . اني حر أخرج متى أشاء وأدخل متى أشاء .

وكان قد قارب الى الباب . فالتفت الى جمال كأنه يودعه : فرأى في يده مسدساً طارتد راجعاً اليه ووقف أمامه وألقى مرفقيه على المكتب العريض الى أن صار على قاب قوسين من المسدس حتى دهش جمال لجرأته العتية ولم يطاوعه أصبعه أن يضغط على الزناد . وقال الشيخ بالتركية الفصحى : حاذر أن تكون جباناً قادراً يا جمال . ما هذا الغدر شيمة القائد الكبير

أنت تعلم أن بعض رجالك جردوني من سلاحي قبل أن أدخل إليك . لم أتمالم احتراماً لمقامك، ولأني كنت أعتقد أن إغفالك الكبير الشرف العسكري الذي يعصمه عن الغدر . والآن أنبهك الى سوء مصيرك إذا مددت لي يداً بسوء . في مدة ست ساعات اذا لم أرجع الى رجالي سالماً يدخلون هذه المدينة على جثث قتلى رجالك ويحيلونها بهذا القصر . وفي ساعة واحدة يدكونه الى الحضيض بمن فيه، ثم يعرفون أني هنا الآن، ويعرفون أن قتالنا أصبح ضرورياً، فتأخري عنهم يقذف بهم الى هنا لا محالة، ولا تستطيع قواك القليلة أن تقف في سبيلهم طويلاً

فقال جمال : كيف يعرفون أنك هنا وأنت لم تكن هنا قبل ساعة

— أجل أنا هنا أفتكر وأتكلم وهم هناك ينتظرون . رد مسدسك الى مكانه . عندنا الوقت مثله لا نجازف بحياتك وحياة جيشك المهزوم

فضاق جمال ذرعاً بهذا الشيخ وفكر طويلاً مضطرب البال ، والشيخ لا يزال مسنداً مرفقيه على المكتب منتظراً . ثم رد جمال المسدس الى مكانه وقال : اجلس يا شيخ سلام، لي كلام معك خطير

فتمدد الشيخ على المقعد الى جانبه . وقال جمال : — لا أراكم اذا جعتم شملكم . . .

وقاطعه دخول ضابط اليه بتلغراف . فتناوله بيد مضطربة وقرأه مكفهراً ، ثم قال : نعم اذا جمعتم شملكم ايها العرب وشددتم استقلالكم ، فالاستقلال أمنية كل أمة ، والاتحاد هو الطريق الوحيد اليه . واذا كنتم متحدين على هذا النمط الذي أرى فلا ريب انكم محققون على الاستقلال . لذلك لي اقتراح عليكم خطير الشأن فيه صيانة لقضيتكم . فما رأيك ؟

— اعتمني الاقتراح لكي يكون لي رأي فيه

— حسناً . أود أن أعرض على الدولة العلية مشروع استقلالكم الداخلي . وأكون أنا فيه والياً أعلى ويكون شاملاً ، شاملاً جميع الامم العربية التي سنحرر منها ما وقع في أيدي دول أجنبية

وهنا تبسم الشيخ واستمر جمال يتكلم : — وتكون وظيفتي أن أرعى دستوركم الذي تصدرونه لهذا الاستقلال . ولا أتدخل في شؤونكم الداخلية . فتكون للدولة العلية السيطرة على البلاد العربية سيطرة اسمية كما كانت سيطرتها على مصر قبل الاحتلال الانكليزي . وأظنه يكون من مصلحتكم أن يكون هذا الاستقلال مسنداً الى قوة الدولة بعد خروجها من هذه الحرب منتصرة ان شاء الله

وهنا تبسم الشيخ سلام ابتسامة عريضة واستمر جمال يتكلم : — والدولة في مقابل

ذلك اتاوة سنوية منكم وعند الآن تتقدمون لشد أزرها في الميدان المصري. فما رأيك الآن؟

فأجاب الشيخ : مشروع حسن جداً يجب أن أعرضه على زملائي أمراء العرب

— متى يمكنك أن تعرضه وتجاوبني ؟

— غداً مساء

— حسن جداً . سأرسل معك وفداً من رجال السياسة عندي إذ لا بدّ أن تحتاج الى خبرتهم وعلمهم في تقرير بعض النقاط. أنت تدعو الأمراء الى أون « القوطة » بعيدين عن الرقباء إذ لا يخفى عليك أن المشروع قد يحرك تلبه بعض الأفكار ويرقط الظنون السيئة . وسأرسل وفداً آخر يعود معكم عند عودتكم لئلا يتمرتن لكم بعض جنودنا الذين يجهلون تدبيرنا هذا .

وركب الشيخ سطام مع عشرة فرسان من رجال جمال باشا .

***

في مساء الغد عاد الشيخ سطام ووراءه الفرسان السياسيون، وصعد بجواده توًّا على درج القصر العريض حتى بلغ الرحبة التي فوق الدرج . فخرج جمال على قرقعة حوافر الجواد ودهش إذ رأى الشيخ أمير الاتحاد العربي يكاد يدخل بجواده الى البهو وقال بحدّة : ماهذا الذي فعلت . أيها الشيخ؟ ما الخبر؟ .

فترجل الشيخ سطام وترك عنان جواده والجواد لا يتحرك في مكانه ولا يتزحزح في موقفه وقال : متجهماً : — كنت أعتقد أنك تصدق الصدق العسكري وتحترم شرف تولك الجندي .

— احترمه طبعاً

— إذاً فما معنى أن ترسل طابوراً من جندك لكي يتصيدوا زملائي الأمراء جميعاً ؟ انها لخيانة خبيثة لا مثيل لها يا جمال

فقال جمال ماكراً : لا علم لي بما تقول :

— أفلن ضباط ذلك الطابور نزل عليهم وحي بأن مئتي أمير من أمراء العرب قادمون الى القوطة فتصدّوا لهم بناء على هذا الوحي . أليس هو وحي جمال ؟ لم يزعم حين كنا ذاهبين ولما عدنا وأينما ثارت مهاجمونا . فأوعزت للأمراء أن يرجعوا حالاً وألاّ يحتكروا بهم بتاتاً . جئت مع رجالك لكي أبلغك خبر خيانتك . فاعلم أنه بمثل هذه الحيل لا يحدث اتفاق بيننا يا هذا . ولا سيما لأن الهزيمة أمامكم عند حدود فلسطين . وقد شعرتُ بها من قراءتك للتلغرافين .

وهمّ الشيخ أن يركب فأمسك جمال بيده قائلاً : مهلاً لا تعجل . ولا تحكم بلا تحقيق . ليس لي علم بهذا التطاير سوى أني أرسلته في « دورية كشافة » ولا أعلم أين هو ونسيت خبره إذ لم ترد لي منه أخبار . فكن واثقاً أن ما حدث كان خطأ . وسأرسل محله وفداً آخر عسكريًّا كبيراً يحول دون حدوث خطإ كهذا . أيها الشيخ ان مستقبلكم ومستقبل الدولة يتوقف على تنفيذ هذا المشروع . وقد أرسلت رسالة برقية بهذا الشأن الى رئيس الوزراء ، وأني لمؤكد انه سيهتم بتحقيقه . فأرجو أن تعود حالاً وتفاوض الأمراء ثم ترجع إليّ ببشارة سارّة

والظاهر أن أخبار الحرب التي كانت ترد الى جمال باشا من ميدان سيناء كانت تنذر بانهيار الجيش العثماني أمام جيش الحلفاء . فتذكر جمال أن يفهم مساعده العرب وهي آخر سهم في الكنانة

***

بعد يومين عاد الشيخ سطام صاعداً بجواده الى أعلى الدرج فتلقاه أحد الضباط الوطنيين . فسأله عن جمال باشا . فقال الضابط لقد فرّ جمال فرار اللص . لأن جيش الحلفاء احتلّ الآن فلسطين ودخل في صباح اليوم حدود الشام لأن جنودنا كانت تفرّ أمامه فرار الأرانب

فقال الشيخ : إن كنا رجالاً نستغل هذا النصر الأجنبي لأنفسنا . وإلاّ فالسبب الذي اتحدنا لأجله قد زال وسنحل هذا الاتحاد ويضمحل ذاك الاستقلال الذي منينا النفس به لقد صار في خبر كان

***

هذا ما كان يجب أن يكون فعلاً لا قصة على الورق . ولكن بعد « خراب البصرة » اجتمع كبار العرب وألفوا الجامعة العربية فجاءت الحرب الصهيونية فكانت امتحاناً لها فنجحت في الامتحان

ترى هل يمكن أن ينجح العرب في اتحاد جديد يصد عنهم العدو اللدود العنيد ؟

ترى هل يقوم فيهم شيخ كالشيخ سطام المرهوم فيجمع كلمتهم ويقود حركتهم ويحرس ألسنة الخونة منهم . إن الله على كل شيء قدير .

(يتبع)

في دوافع التاريخ

دأب المؤرخون والباحثون الغربيون على تفسير تاريخ مصر بعد العصر الفرعوني تفسيراً يقوم على فكرة ضخمة أساسها أن مصر ظلت خاضعة للسيطرة الأجنبية منذ انقضاء العصر الفرعوني حتى اليوم.

ويذهب السير ارثر كيث الى أن مصر بعد الفتح الآشوري عام ٦٦٥ ق. م أمست في عصرها الطويل الذي خضعت فيه للسيطرة الأجنبية، فقد تداولت الدول الأخرى: الفرس، فالاغريق، فالرومان، فالعرب، فالترك، وأخيراً بريطانيا. وفي هذه الحقبة الأخيرة (١٩٤٦) تجري المفاوضات في موضوع جلاء بقية الجنود البريطانية عن أرض مصر.

ويمضي السير كيث زاعماً أن مصر استعادت سيادتها بعد ٢٥ قرناً، وصارت أمة ذات سيادة على نمط العالم الحديث!

وليس هذا القول من هذا الباحث جديداً عن الباحثين الغربيين، خاصة الانجليز، الذين تولوا كتابة تاريخ مصر.

وواضح من آراء هؤلاء القوم أنهم يقصدون هدفاً معيناً هو اشعار المصريين بأنهم كانوا في هذه الحقبة الطويلة من الزمن التي تبلغ ٢٥ قرناً خاضعين لحكم أجنبي، وبذلك لا يكون خضوعهم للنفوذ البريطاني مما يثير في نفوسهم حمية تدفعهم الى السعي الى استقلال افتقدوه منذ خمسة وعشرين قرناً.

وقد كان أثر هذه الدعوة الفاتلة واضحاً في برامج تعليم التاريخ في مصر. وكان أصحاب النفوذ البريطاني يحتفظون لها الخطوط الرئيسية الواضحة في كتب التاريخ التي تعلم في المدارس المصرية، حتى يشب المصري المتعلم موقناً أن وطنه كان مستعمراً في معظم فترات تاريخه. وبذلك يصاب بيأس قاتل يجعله أداة طيعة في أيدي المستعمرين.

ولم تكن هذه الدعوة وحدها مما يبعث اليأس والاستسلام في نفس المصري المتعلم،

بل تبعتها دعوات أخرى كان أهمها تلك الخرافة الضخمة التي نشرها الانجليز في مصر، وزعموا في كل كتاب، وفي كل صحيفة، أن مصر بلد زراعي لا يصلح للصناعة.

ولست أبغي مناقشة هذه القضية التي أثبت الزمن — وهو كفيل بقتل هذه الخرافة — أنها كانت تخدم أغراض السياسة الاستعمارية البريطانية في مصر.

ويهمني في هذا المقال أن أتحدث عن تاريخ مصر التي لم تكن خاضعة طوال خمسة وعشرين قرناً لسيطرة أجنبية كما يزعم كيث وغيره من خلاة المستعمرين — [كيث لا يختلف عن المستعمرين ولا عن بريطانيا بل يتكلم الرجل كعالم انثربولوجي — المحرر].

وإنه ليؤسفني وأنا عملك بقلمي أن أقرر حقيقة مؤلمة، هي أن معظم تاريخ مصر لم يتولّ كتابته حتى الآن مصريون، كما لم يكتبه غربيون منصفون يقررون الواقع مجرداً عن الهوى.

فنحن نرى مثلاً أن السير كيث يقرر أن مصر حفظت شخصيتها في تاريخها الطويل، وأن السيطرة الأجنبية المزعومة لم تقتل في المصريين روح الاستقلال. ولكنه رغم ذلك يتناقض مع نفسه ويزعم أن مصر خضعت لسيطرة أجنبية طوال ٢٥ قرناً.

والشعب المحتفظ بشخصيته، المحافظ على روح استقلاله، لا يمكن أن يخضع لسيطرة أجنبية ٢٥ قرناً، ولا يجوز لباحث أن يصمه بهذه الوصمة في غير احتياط.

وشواهد فساد هذه المزاعم الاستعمارية كثيرة نجملها فيما يلي:

أولاً — أن قيام دولة البطالسة في مصر كان من مظاهر الاستقلال الكامل، إذ أن بطليموس بن لاجوس مؤسس هذه الدولة كان يونانياً حقاً. ولكنه كان يحكم بلداً له كل مظاهر الاستقلال. وليس قيام ملك أجنبي على عرش شعب مما يجعل هذا الشعب خاضعاً لشعب الملك. ويكفي أن نعلم أن ملوك انجلترة ليسوا من الانجليز.

ثانياً — ان مصر في عهد الدولة الطولونية والاخشيدية والفاطمية والأيوبية. وفي عهد المماليك، كانت دولة مستقلة وهو أمرٌ لا يمكن انكاره.

ثالثاً — ان مصر قاومت الحملة الفرنسية في مطلع هذا العصر الحديث، ثم قاومت الأتراك، وولت محمداً عليّاً عليها بإرادة شعبها. وظلت تنعم باستقلالها حتى نشبت في البلاد ليران الثورة العرابية وتبعها الاحتلال البريطاني.

وقد استغل الباحثون الغربيون قيام ملوك من دم غير مصري على عرش مصر استقلالاً سيئاً، فجعلوا مصر تابعة لأمم هؤلاء الملوك. والواقع أن الملوك في أكثر الأمم في مختلف

عصور التاريخ لم يكونوا من أهل تلك الأمم إذا أنت تقصيت مولدهم .

كما أن كبار القادة والحكام ليس من المحتم أن يكونوا من جنسية الشعب الذي يقودونه ويحكمونه ولقد كان نابليون بونابرت غير فرنسي . ولكنه رغم ذلك قاد فرنسا نحو المجد ونحو الهزيمة على السواء .

وكذلك المبادىء والآراء ، فان باحثاً بعينه قد لا تستقر آراؤه ومبادئه في وطنه ، ولكنها تستقر في وطن آخر . وليس أدل على ذلك من استقرار آراء كارل ماركس في روسيا ، وعدم استقرارها في وطنه المانيا .

ومقياس الاستقلال لا يخضع لشخص بعينه أو مذهب بعينه ، ولكنه يخضع للشعب نفسه .

ولا خلاف بين الباحثين على احتفاظ مصر بشخصية واضحة متميزة ، تهضم غيرها من شعوب ، ولا يبتلعها شعب آخر مهما أوتي من قوة وسيطرة .

ولا خلاف بينهم أيضاً على أن روح الاستقلال من سمات المصرية في أجلى صورها ومعانيها . فمصر لا ترضى وما رضيت قط بسيطرة أجنبية ، ولكنها تخضع فترة لتثور وتسترد حقها الطبيعي في الحياة الحرة المستقلة

وليس معنى احتلالها بقوات من جيوش فارسية أو افريقية أو رومانية أو عربية أو فرنسية أو انجليزية ، أنها خضعت واستسلمت ، ولكن معناه انها تسير في تيار الحياة العالمية كما تسير الشعوب جميعاً ، تكبو ثم تنهض .

وما من شعب عريق في حضارته لم يستهدف لما استهدفت له مصر من غزوات . وليس في هذا ما يقدح في شعب بعينه ويصمه بتلك الوصمة التي شاء الباحثون الغربيون أن يصموا بها شعب مصر .

وان مظاهر القوة الغالبة تنتقل من شعب الى شعب ، ومن شرق الى غرب ، وفقاً لتيارات عامة تسير الحياة البشرية بأسرها .

وقد عاشت مصر عمرها المديد في خضم هذه الحياة دون أن تزول شخصيتها أو يمحى استقلالها

ولكننا نعرف شعوباً كثيرة في العالم القديم ظهرت على مسرح التاريخ ، ثم أصبحت من الوجود

عبد المنعم شميس

الستربتوميسين

(يتبع لما سبق)

وبعد ذلك توصلوا الى اكتشاف مادة نباتية طبيعية تنبت في حقول القمح والشعير وتُسمى الاكتينوميتس البنية Actinomyces griseus استخلص منها العلماء واسكمان وودروف وهورنج مادة سموها الستربتوميسين وذلك في المعهد الزراعي في نيوجرسي وقد نجح الستربتوميسين في حالات عجزت البنسلين عن شفائها وهو أكبر مقاوم للعفن الميكروبي ومقاوم لباشلس السلي والميكروبات المختلفة التي في الأرض والتي شوهد انها تلاشت أمام هذه المادة. وهذا ما أوصل هؤلاء العلماء إلى بحثها واستخلاص الستربتوميسين منها. وقد كثرت الابحاث فيها ودرس هذا العلاج درساً مستفيضاً، وهو عبارة عن بودرة بيضاء مائلة إلى اصفرار خفيف تحل بسرعة بالماء ولا تحل بالكحول والايثر والكلوروفرم وتحفظ بدرجة حرارة ٢٥ وتحتمل حرارة ٦٠ مع المحافظة على فائدتها. وتفيد جداً بوسط قلوي وليس حمضي. و مليجرام واحد يحتوي على ١٠٠ وحدة، والعلاج الموجود الآن فيه ٣٠٠ وحدة بالمليجرام وهو بخلاف البنسلين أنه يقاوم الميكروبات التي تتلون بالجرام مادة ملونة، وبالاختبار في المعامل تقاوم الميكروبات الآتية: الكولوباستيل والتيفوئيد والباراتيفوئيد وباستيل الدسنتريا والبيوسيانيك وباستيل فريد لندر وبفيفر وباشلس السل وغيرهم.

وتأثيره بالجسم ليس يُحتوى تأثيره بالتجربة بالمختبرات ولا يؤثر كثيراً إذا كانت حموضة الدم زائدة، وإذ وُجدت في خلايا الجسم ميكروبات أخرى غير مقصودة بالعلاج ولذلك يجب زرع هذه الميكروبات لمعرفة نوعها. ويحقن الستربتوميسين داخل العضل

وهو بخلافه البنسلين لا يتلف بغشاء الأمعاء ولذلك يفيد باصابات الأمعاء الغلاظ وقد يعطى فم فيدخل السائل النخاعي الشوكي بشرط أن يكون بداية القناة ويؤثر في خلايا البلغم وفي البريتون ويتحول بمضاء عن طريق البول ويتركز قليلاً في عضل القلب وأقل منه في أنسجة المخ والسائل الشوكي ولا يتجاوز غشاء الدماغ إذا كان هذا سليماً، ويكثر وجوده في الصفراء والكبد وداخل العين. ويظهر بالبول بعد ٢٤ ساعة ويتحول بمعدل ٦٠ إلى ٨٠ بالمائة غير أن الكلى المريضة تخفف كثيراً من إفرازه. ويطول بي الشرح إذا استوعبت كل هذا الموضوع. وقد عالجوا به السل الرئوي، والكدمان وهرشنو اختبراه بسل الفار الذي احتمل بعضهم كميات من ميكروب السل قدر ٣٠ منهم شفوا بفعل الستربتوميسين بتكلس اصاباتهم الدرنية. وقد نفع في السل السريع الحبيبي Oranulie فتحسنت حالة المريض بعد شهرين ونجح ضد سل أغشية الدماغ Muigite Auberculeme وبعد ثلاث أسابيع زال الصداع والميل الى النوم وتصلب عضلات الرقبة وزالت الحمى وكل تحول بالسائل الشوكي. وقد تستمر بعض الكريات البيضاء فيه أو حالة زلالية. وقد شاهدوا على أثره حالة طرش وأوجاع في مؤخرة الرأس وضعف بالسمع والنظر. وكل هؤلاء المرضى استعمل لهم ١ الى ٣ جرامات يومياً مدة ٦ أشهر

* * *

اما في السل الرئوي فرغماً عن تخفيف حدة المرض وبُطء سيره لا يمكن التأكيد انه يشفي هذه العلة فان الاختبار ضد ميكروب السل أعطى نتائج مشجعة اما عملياً عند المرضى فأعطى نتائج جزئية تساعد على الاستمرار باستعماله في مقاومة هذا المرض الذي يعد من أخطر الأمراض والشفاء التام لا يتجاوز حد الآن الأمل. وقد توصلوا الى ايجاد الكلورومستين الذي أدى نتائج باهرة بالحمى التيفوئيد والباراتيفوئيد والتيفوس الخطر الوبائي. وأخيراً توصلوا أيضاً الى تحضير مركب مشتق منه يسمى الاورمستين وهذا يعطى من الداخل مثل الكلورومستين وهو يشفي الدمنتيريا المزمنة والحادة والاصابات بالكوليباستيل. وهذه نتائج باهرة حقاً في أمراض كثيرة من أمرها والتغلب عليها.

وقد تقدم الطب تقدماً كبيراً بمقاومة تجمد الدم ومقاومة السدة القلبية التي تصيب

جزءاً من الشريان التاجي وتسبب أوجاع شرحة عند ضعاف القلب، وهي أقسى نوع من الذبحة الصدرية المخيفة. وفي حالة السدة الرئوية التي لا تقل عنها خطورة أحياناً كثيرة وذلك بفضل علاج حديث يسمى الهيبارين وهو غير سام وسهل الاستعمال. ويمتاز كثيراً عن الديا كومارول الشديد التأثير على الكبد والكلى والدم. وهذا العلاج يستعمل حقناً داخل الأوردة بكمية ٢٥٠ الى ٦٠٠ ملجرام كل أربعة ساعات ليل نهار. ولكي تقرر نجاح الهيبارين يجب أن تكون المدة التي يؤخر فيها تجمد الدم ٥٠ دقيقة على الأقل اذا حُقن المريض كل أربعة ساعات. وقد ظهر أن تكرار هذه الحقنة مضايق وغير عملي فكر لوف ومساعديه باستعمال الهيبارين البطيء Heparine retard ولم يتوفقوا بأول تركيب ثم مزجوه مع الستيدوزان فنجح. ان حقنة ٢٠٠ ملجرام من الهيبارين البطيء داخل الأنسجة الخلوية كافية لمدة ٣٦ الى ٧٢ ساعة وللوقاية كمية ١٠٠ الى ٢٠٠ ملجرام كافية للحصول على النتيجة ذاتها أي تأخير تجمد الدم من ٣٠ الى ٥٠ دقيقة

* * *

ويستعمل الهيبارين البطيء عند النساء بعد سن الأربعين المُعَرَّضات للسمنة والتهاب الأوردة وعندهن عجز في عمل القلب والشرايين والمعرضات لالتهاب الشرايين على أثر جراحة أو ولادة ويحقن تحت الجلد ثم يبحث عن مدة تجمد الدم فان كان ٤٠ الى ٦٠ دقيقة تكون النتيجة حسنة. ويجب تجدد هذه الكمية بعد مدة من الوقت. وعند تناقص مدة تجمد الدم

وأعظم نجاح الهيبارين هو في السدة القلبية هذا المرض المخيف التي ضحاياه لا تعد ولا تحصى فيجب اعطاءه عند أقل انذار وبدون تأخر. ويمكن اعطاء الهيبورين العادي مترادفاً مع البطيء وبهذه الطريقة كانت الوفيات بالسدة القلبية معدومة. وميري لم يشاهد في ٣٧ حادثة وفي ١٤٠ سدادة رئوية وفاة واحدة، وبود شاهد وفاتين فقط في ٤١٣ حادثة. وسليا كس لم يشاهد في ٢١٧ حادثة إلا وفاتين حصلتا لأن الهيبارين استعمل متأخراً وبجرعات غير وافية.

وقد تقدم الطب كثيراً في علاج الذبحة الصدرية العادية التشنجية الشديدة الخطر

والكثيرة الحدوث خصوصاً بمصر . وهذه يجب استدراكها قبل حدوثها لأنها لا تأتي عفواً كما يتخيل كثير من الناس . بل ان ما يساعدها هو تحول بأغشية الأورطي « الشريان الرئيسي بالجسم » فيتأثر رويداً رويداً ويفقد مع الزمن نعومته ومطاطيته إن صح هذا التعبير، فيقسى وتخشن أنسجته وتحل في غلافه الداخلي حبيبات دهنية تركبة من أملاح الكولسترين والاكتلات والايرات والمواد الدهنية التي تتكلس مع الزمن فيصبح غلافه الداخلي خشناً يفقد نعومته، وهذا ما نسميه بالاترووم أي بداية التصلب. وهذه الحالة تزداد رويداً رويداً مع الزمن ثم تمتد هذه الحالة إذا أهملت الى الرئة المجاورة . وأول شريان يصاب هو الشريان التاجي أول شريان ينفصل عن الأورطي ويغذي عضل القلب وينتف حوله . وهذا الشريان رفيع وضيق فاذ خشنت أنسجته وأصابها الاترووم فيسهل انسدادها ولو لربع دقيقة . وهذه هي الطامة الكبرى وقتلها السريع العاير بسبب الذبحة الصدرية التي تحدث بصورة خفيفة عابرة وحالات أقسى وأهم حالات متوسطة وسمة وشديدة وخطرة ومميتة فيتخلل بين الواحدة والأخرى زمن طويل أو قصير حتى حالات تتردد يومياً أو يوم بعد يوم أو ساعة بعد ساعة حسب شدة تصلب الأورطي أو التاجي . ولنصرح هنا أنه بين ظهور أعراض الذبحة الصدرية وبين بداية تحول الأورطي ثم التاجي يمر زمن طويل وطويل جداً يعد بالسنين فهذا الوقت لا يستفيد منه المريض في أعظم الاحوال ليقي نفسه متهاحسب اقتدار الطبيب واستئال المريض للسير بالعلاج الصحيح والحمية اللازمة للتمتع بحياة هادئة رتيبة لا يقدرها إلا المرضى المساكين الذين يتحسرون وأي تحسر على فقدانها ولكن بعد فوات الأوان .

* * *

ولا يحتمل هذا البحث ذكر طريقة معالجة الذبحة الصدرية المتشعبة النواحي الدقيقة الشرح وليكون نجاح علاج الذبحة ذا فائدة تجب ملاحظة وظيفة الكبد وحالة افراز الكلى وهاتان الحالتان تؤثران تأثيراً كبيراً في نجاح معالجة الذبحة الصدرية (لها بقية)

الدكتور يوسف كحيل

— ٣٣ —

نظرات ثاكري

وليام مكبس ثاكري القصصي الانجليزي الشهير . قد أتهمه بعض النقاد بسوء الظن بالنفس الانسانية . والنفوس إذا وصف كاتب سيئاتها اتهمته بسوء الظن والعداء لأن هذا الاتهام أسهل من التخلص من سيئاتها التي سببها الغرائز والشهوات المتمكنة من النفوس . وقد رأى بعض المفكرين ان هذه الغرائز والشهوات لن تتغير ولن تتبدّل وان النفس إذا استطاعت أن تتخلص منها أو تلطف من حدّتها أصابها الضرر والعجز . ومع ذلك فان المفكرين من قديم الزمن يصفون عيوب النفس البشرية أملاً أن تتخلص منها أو تلطف من حدّتها . ولا أذكر أن كاتباً امريكياً هو الذي وصف الانسان فساء التقرّد الأبدي لعجزه عن التخلص من الخلقة والشهوات وحب التدمير والأذى، ولقصوره عن الأخذ بأسباب تعميم نتاج العلم وتعميم الاستفادة منه . ولولا أن الكاتب يؤمن في صميم نفسه أن الانسان وهب القدرة على تلطيف عيوبه وتهذيبها والتخلص منها كلها أو بعضها ما كلف نفسه مؤونة وصفها . وبالرغم من أن ثاكري قد يؤلم مبضعه في شرح صفات النفوس كما يؤلم مبضع الطبيب اذا فعل الدمّل فانه كثير الحنان وانعطف على النفوس ، فهو يجمع بين السخر والحنان وهو بين الانجليز من هذه الناحية مثل أناتول فرانس بين القصصيين الفرنسيين . وكما اشتد ثاكري في نقد سخر سويفت في كتابه المسمى (كتاب الفكاهة) اشتد بعض الكتاب في مؤاخذة ثاكري . ولكن شتان بين سويفت وثاكري فليس في سويفت حنان ورقة وعطف كما في ثاكري فان سخر ثاكري مقرون الى رقة وسماح وصفح جليل ، ولو أنه قد يشتد في بعض قصصه ورسائله ويعنف . وبعض قصصه لا ترى فيها ما يسمى في اصطلاح المؤلفين أبطالاً . ولا يغيب عنا أن ثاكري وزميله ديكنز من كتاب العصر الفيكتوري، أي عصر الملكة فكتوريا وهو عصر مشهور بمظاهر

التزمت والكبر في التزمت. ولكن ذكري لا يعني ذلك العصر من سخره ولا يعني ما فيه من نفاق وتجبر وقسوة. كما لم يُسعفِ المحتالين والمقامرين والآفاقيين الذين خرجوا على سنة العصر الفكتوري. وبعض النقاد يرون أن قصة (سوق الغرور) هي أعظم قصصه. وقد تكون كذلك من الناحية القصصية الفنية. ولكن عندي ان اعظم قصصه هي قصة (هنري إزموند) التاريخية. وقد فضلها الناقد الكبير الأستاذ سينتسبري فإن لها سحراً عجيباً. والفن الذي يقتضيه وصف بياتركس وأمها من غير زلل فنٌّ من أعجب الفنون. ثم ان عظم موضوع القصة اذا أُضيف الى عظم الفن يزيد في قدر القصة، ولو إن إجادة صاحب الفن لا تقتضي موضوعاً كبيراً كي يجيد. ومن قصصه الأخرى قصة (باري لندن) و (الفرجينيين) الخ الخ. ومن كتبه كتاب (الرسائل الدائرة) وهي أشبه بما يتخلل قصصه من رسائل قصيرة وكلمات في وصف الناس وكتاب (الادعياء) الخ الخ.

وفيما يلي بعض نظراته مع الشرح والتعقيب: —

(١) كثيراً ما ينتقص النساء من عقل المرأة وذكائها (أو من أخلاقها) اذا كانت أعظم منهنَّ جمالاً وأتم حسناً ولم يستطعنَ انتقاص حسنها كما يريدنَ بانتقاص عقلها ان لا رجحهنَّ بمجموع ما وُهِبَتْ من ذكاء وجمال. وهذا عكس ما يفعله الرجال فان ذات الوجه الجميل والعينين الفاتنتين تغتفر لها حماقة كثيرة، وقلة عقلها تكتسب فيها رشاقة وحلاوة تغطيان على قلة عقلها — والواقع أن الانسان كثيراً ما يخدعه انتظام التقاطيع فَيُحْسِنُ به مقرون دائماً الى انتظام العقل والعكس بالعكس

(٢) في سوق الغرور التي هي الحياة قما يتألم الانسان من وخز ضميره اذا عمل شراً. وانما هو يتألم لا من الندم على عمل الشر بل من الندم لافتضاح أمره وانكشاف سره وشره فيخلط ضميرهُ عمداً بين نوعي الندم كي يظهر بمظهر الأبرار، أو كي يقال أنه كثير بالندم ووخز الضمير عما ارتكب من الشر. وقد يكون الرجل نفسه مخدوعاً بما يخدع به غيره، فان الشعور يُلَبِّسُ على صاحبه حقيقته فيخال من تأنيب الضمير وهو من ألَمِ الأثَرَةِ وحب الذات.

(٣) لو فطِنَّا الى ما قد يخالط أنبل الأخلاق وأسماها من نقص او دناءة لتركنا

التفاخر والتباهي بالفضائل ووصفها النفوس بالعطف والرحمة .

(٤) ان الكذب الذي يقوله المرء في اغتياب الناس أكثر ديمومة من الصدق الذي يمدحهم به، فهل ذلك من أجل أن قلوب الناس بوجه عامة لا تنمو فيها بذور أقوال الخير الرقيقة. ومما لا شك فيه أن اغتياب الناس وذمهم يصادفان من الانشراح والإقبال والإلتفاس والانتباه أكثر مما يصادفه مدحهم بالخير، كذلك في الحالة الأولى تطيبهم بتوابل تدعو النفس الى أكل لحومهم .

(٥) أي الصفات نالت أعظم مدح منذ عهد حرب طروادة الى اليوم ؟ أليست هي الشجاعة والجرأة والاقدام؟ فقد غنى أشادها الشعراء والكتاب وأغفلوا الصفات الفاضلة الأخرى، ولم يعيروها اهتماماً كاهتمامهم بهذه الصفات . ألا يجوز أن يكون السبب أن الانسان جبان بطبعه يجنح الى الخوف والفزع أكثر من جنوحه الى قلة المبالاة والاقدام صيانة للحياة واعتزازاً بها ، فيغطي على ذلك بمدح الشجاعة كي يقال انها صفته الغالبة ويطري الشجعان كي يقال عنه انه منهم . ولعل من أسباب مدحه الشجاعة أيضاً انه يريد أن يحمل نفسه عليها ، ويغطي عنها مخاوفها ، كما غطاها عن الناس .

(٦) بعض النساء لهن ولع بان يتخذن من يحببن في مكانة العبادة وهي مكانة تشبه مكانة آلهة الوثنيين في المعبد فتقدم له البخور والمدح والثناء سواء أكان ذلك عن عقيدة فيه أو حيلة، وهذا يضايق الرجل لانه يلزمه صفات الكمال دائماً وهو لا يستطيعها . فيصل كما يقول (الدايلي لاما) في التعب ويتثاءب من عبادة عباده

(٧) فلما يهم الناس كبر عقل الرجل أو عظم فضائله قدر ما تهمهم آدابه المريحة في معاشرتهم اياه وسلوكه في إرضائهم لان كل انسان يأنس الى ما يريحه . واما وجاهة تفكير المعاشر وعظم فضائله فكثيراً ما تضايق عشيره . ولذلك كثيراً ما يحكم الناس على عقل الرجل وفضائله بما يريحهم او بما لا يريحهم في سلوكه معهم — أو حتى بما يتخيلون انه يريحهم أو لا يريحهم .

(٨) ان بعض الناس لا ينالون الاطمئنان في الحياة حتى يغالطوا أنفسهم ويخادعوها ويحملوها على أن تعتقد ان العدل يطرأ في الحياة ويمر — فهل يطرد العدل في حياة الناس ؟؟ هل كل راكب فاضل وكل ماشٍ مفضول ؟ وهل الأول عادل والثاني ظالم . وهل الفضل دائماً مُفضَّل والنقص دائماً مؤخر ؟ وهل المرائي المنافق دائماً مخذول ؟ وهل ينصرف الناس عن التفاهات على ما لا قيمة له من الكتب والأشياء والأمور ؟ وهل هم لا يقبلون على الخطيب المهرّج الماهر ؟؟ وهل لا يُرقى الرجل ولا يُقدَّم ولا ينجح إلا بما له من

عقل وفضل وحمة وكفاية ؟ وقس على ذلك أسئلة أخرى كثيرة . وخليق بالمرء أن يكون أشجع وأقوى من أن يعجز عن تحمل الحياة إلا بالأكاذيب .

(٩) قلما ينال الانسان خيراً إلا وهو يرى أنه يستحقه ويستحق أكثر منه. ومن أجل ذلك نشأت قلة الشكر وظهر غمط المعروف وجحد الجميل المصنوع إذ قلما تعد نعمة المتفضل تفضلاً منه، بل حقاً واجباً لمن نالها — : وفي بعض البيئات المنحطة لا يكتفي ناكل المعروف بغمطه وجحده، بل يتعاظم على من صنع المعروف أو يحقد عليه في سريرته كي يظهر له إنه انما أخذ بعض حقه وإنه أكبر وأعظم من أن يقر لاحد بفضل عليه .

(١٠) لو اختار بعض العلماء المؤرخين أن يتتبع جرائم الفضلاء، وان يكتب كتاباً في تاريخ الشر والشر الذين صنعهما أهل الفضيلة أو من يرون أنفسهم من أهل الفضيلة لكان كتاباً عجيباً ممتعاً واعظاً للناس ... فمن الذين أحرقوا البروتستانت ؟ انهم فضلاء الكاثوليك . ومن هم الذين أحرقوا الكاثوليك ؟ انهم فضلاء البروتستانت. ومن الذين يضطهدون الناس في الحياة الاجتماعية ويشردون منهم أخيار السوء ويسقونهم بصفات السوء ويدعون الناس الى اضطهادهم وايذائهم ويجدون لذة في ذلك ؟ هم الذين يرون أنفسهم أو يريدون أن يقنعوا الناس انهم أفضل من غيرهم. ومن هي التي تتتبع جرائمها لاستخراج ما تعتقد من سيئاتهم، أو ما لا تعتقد، ولتستخرج سيئات أجدادهم الى الجد الرابع أو أكثر وأبعد من الجد الرابع لكي تؤذيهم بنشر السوء عنهم ؟ انها السيدة الفاضلة — أو التي تعتقد أو تريد أن يعتقد الناس أنها سيدة فاضلة . وهي اذا عثر الحظ السيء بانسان وجندله دامياً أمامها في الوحل رفعت أنفها إلى السماء تعاظماً وتعالياً وجمعت ثيابها كي لا يلوثها العاثر المسكين — وإن كان من المحال أن يلوثها وهرولت صارخة باشمئزاز من حظه العاثر الشيء مبتعدة عنه .... حقاً اننا في حاجة الى كتاب في تاريخ جرائم الفضلاء!

(١١) ان الاحسان ضمام عسر في المضم . ومن أجل ذلك قد يختلق من ناله مذمة للمتفضل إذا لم يجد فيه مذمة كي تكون عذراً له إذا فك عن نفسه ما يعده أغلالاً وأصفاداً للمعروف ... ترى هل كان المسافر الذي نجاه السامري من اللصوص — في قصة الكتاب المقدس — شاكراً لمن نجاه من اللصوص ؟ أم أنه كان يجد غضاضة في أن يكون مديناً لانسان بفضل عليه ؟ وهل هذه الغضاضة جعلته يتذكر أن كل سامري عقيدته فيها انحراف في نظره ؟ وهل اتخذ من انحراف عقيدة من نجاه عذراً له كي يجحد ما أداه اليه من معاونة وكي يتقحم عليه باللوم كي يفك عن نفسه أصفاد المعروف وأغلاله ؟

ع . ش

الحرب ضعف (١)

لا أدري — يا أستاذي الكبير — كيف أن متقناً يظلم انساناً ، أو يغتصب حق مسكين ، ولا أدري كيف ان انساناً يسعى بالشرّ وبالمكروه الى أخيه الانسان إلاّ إذا كان ذا قلب رخامي وعقل جامد بليد ، ان هذا الانسان الطاغي المستبد مظلوم مسكين ، غرّرت به الأيام فنادى في دروبها وحار في أزقتها الحالكة ففقد الايمان بنفسه وفقد الايمان بربّه ، وظنّ أن تحطيم المصابيح الهادية في قرارة نفسه سيكسبه ضوءًا يتطاع بواسطته الى المستقبل بشيء من الزهو وشيء من الكبر . فأتت عليه النار وأكتنفه الظلام فتكبر لنفسه وأجل ذاته ، وأمات فكره وقنع على الناس وأهل الخير ... تعساً لهذه الحياة ان كانت غايتها الحرب ، وتعساً لهذه المدنية التي شادها الانسان على جاجم أخيه الانسان ، انها حياة زائفة بغيضة ، ومدنية باطلة خاوية ... أتعادل تلك الأرض التي تُكتسب في الحرب وتلك الأموال التي تسلب في القتال ، وتلك الأسواق التي تفتح لتصريف البضائع وأخذ الغلاّت ومواد الطعام من المستعمرات ، وتلك الأنفس التي تسخر وتستذل بعد حريتها في الغزو . أيعادل هذا كله ثمن هذه الدماء المسفوحة ، والأشلاء المتطايرة ، وهذا الخراب الشامل والمجاعة القاتلة المميتة .

إن هؤلاء الأساتذة الذين لقنوا هذا الشاب هذه العلوم التي تفتك بالأرواح بغير عد أو حساب ، وان هذه المدنية التي عاش الانسان في جوّها وتنفس هواءها المشبع برائحة البارود وشواء الأشلاء كل هؤلاء أعداء للإنسان .

فلو أن الأب علّم ولده وهو طفل صغير ، لو هم نفسه وآمن بروحانية هذا التعليم

---

(١) كتب هذا المقال بعد قراءة مقال الاستاذ الكبير الحداد الذي كتبه في مقتطف يناير ، جدال بين الحرية والعبودية) .

— لو علمه وعلم نفسه أن يحترم حق سواه وأن يجل أخاه الانسان ، لو أبات في فكره وفي نفس ولده نزوات انانية ، وحماقة العنصرية ، وخرافة الاستعمار ، لو أمات هذه كلها في نفس ابنه الناشىء الصغير — ما رأيت هذا الابن قد مال الى الشر أو فكر في الحرب ولوجّه هذا العقل الذي وجد كي يعدل الخير ، ولوجّه هذه القوى الهائلة الى إزالة الدمار والمسكنة ، والى محاربة المرض والفقر والجهل في العالم .

لو أن هذا الاستاذ فهم الشباب والحقوق والواجبات ، لو أمن الأستاذ نفسه بهذه العلوم التي يدرّسها ، ثم سعى لتفتح براعم التفكير في الشباب فعلمهم الخير وعلمهم العطف والرحمة والحنان والوفاء ، لو علمهم روح هذه الكلمات لا حروفها وفلسفتها لا ظواهرها ، لو حدّثهم بأن الحرب أعمال وحشية وأفعال تخريبية وانها من أعمال رجال الغاب ومن تفكير الانسان الأول ، وأن على الجيل الحاضر أن يكون سامياً في تفكيره مميزاً عن الإنسان القديم بأعماله ، لو علمهم أن على الجيل الحالي تحطيم أصنام الماضي وتكسير أغلال العادات وسلاسل التفكير .. وان العقل في تطوّر مستمر وان التفكر في تجدد وارتقاء وما كان مألوفاً ومستساغاً قد لا يكون اليوم .

لو أن هؤلاء الاساتذة فهّموا الشباب بأن الحرب وسيلة مشوّهة للطالبة بالحقوق ، وان في العجز وفي الضعف الالتجاء لطريقة كهذه في تطبيق رأي أو نشر فكرة — فكما أن الحيوان الأعجم لا يجد وسيلة يلجأ إليها للحصول على قوته أو للدفاع عن نفسه غير الهجوم على الفريسة أو مقاتلة الخصم — وهو لو علم طريقة غيرها لالتجأ إليها — كذلك هذا الانسان يلجأ الى الحرب ان عجز عن الرأي الغائب ... ألم تقرأ أن الحيوانات التي وُجدت غذاءً وقراً والتي اطمأنت على فراخها في الأكل والافتراس والتي عاشت مع الانسان — هذه القرون الطويلة — فاستأنست به قد غيرت من طباعها الوحشية كثيراً أو انها نسيت تلك الطباع التي لا تحتاجها في معيشتها الجديدة ، فالدجاج نسي الطيران لانه وجد الحب واعتمد على الانسان ، والكلاب ارتقت عن فصيلة الذئاب ، فما بال هذا الانسان لا يزال على انسانيته الأولى لم يتخلب من طباعه القديمة ولم يرتفع بفكره عمّا ألف آباؤه وأجداده ، فعاش في مستنقع من الخرافات وقيد من أثقال العادات ... أرأيتم عالماً تخاصم مع زميل له في رأي أو تحاورا وتناقشا في مسألة في اختصاصهما فلجأ كل منهما الى السلاح يستنصره على الخصم ويستعين به في التغلب على رأي زميله ؟! .

الحرب عجز والحرب ضعف وان كانت بنت الموت وتُظهر القوة وتنشر الرعب ، الحرب سخرية من تفكير الانسان ، ورمزه بأعمال العقل ، في الحرب يتساوى الانسان

والحيران الغريزي الأعمال . . ليس هناك مشكلة الا وبالامكان وبالسهولة حلها بالرأي الصائب والمنطق السليم والايمان الثابت . ليس هناك حرب إذا تعلمنا التسامح في الرأي والحرية في المعتقد، لو تعلمنا أن اختلاف الرأي لا يفسد الوداد أو يأتي على المحبة ، لو أن هؤلاء علموا الشباب بهذا كله لنبذوا الحرب وعاشوا اخوة ولأسكتوا نقيق الضفادع ونعيق الغربان الداعية الى الحرب ، ولو أن هذه المدنية التي أنشأها الانسان وغذاها الفكر كانت كما أريد لها أن تكون — لا كما هي اليوم — لعاش فيها الناس آمنين مطمئنين منعمين بكل هذه الخيرات التي أسبغها الله على خلقه والتي تفي بحاجات الناس وتشبع أهواءهم . . .

أهكذا — وسريعاً أخرس أنصار الحرب وشياطين الموت أصوات السلام المثابرة بأزيز مدافعهم وعربدات قنابلهم .

أهكذا — وسريعاً يحمل زبانية الجحيم وأبالسة الشر على النقاط فيكتسحون فريق السلام أمامهم يملكون الذرة[1] ويملكون قنبلة الهيدروجين وصواريخ الموت واشعاعات الهلاك تتوارى أنصار السلام وتساقطوا دفاعاً عن مبادئهم كتساقط الفراش على مواقد النيران . . .

لا لا أنا لا أصدق أن الباطل ينتصر على الحق ، ولا أصدق أن المنكر يقوى على صدّ الخير والاحسان ، اني أرثي لهذا الانسان الذي وحد الخير في الحرب . ان هؤلاء الذين استساغوا حياة الحرب ورائحة البارود أنانيون يريدون أن يحجبوا نور الشمس بالأكف يريدون أن يستأثروا بضوء القمر ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم . يريدون أن يستأثروا بالحرية وبالحياة وبكل شيء ... الويل لمن أراد أن يشاركهم حق العيش وحق الحياة سيثورون ويحطمون كل شيء ، وسيقتلون النساء ، والشيوخ ، والأطفال ، والعجزة ، سيفعلون كل هذه الأفاعيل باسم السلام وباسم الحرية ...

مع هذا كله فأنا أرثي لهم وأعطف عليهم انهم مساكين بؤساء فقدوا الاستقرار النفسي، وفقدوا الثقة بأنفسهم، وأبطلوا أعمال العقل فتدافعوا وراء غرائزهم ، وتزاحموا وراء عواطفهم، سيندمون على ما اقترفوا من آثام ، وسيقولون ليتنا عملنا صالحاً ، وفعلنا لأخينا الانسان احساناً، سيشقون بأعمالهم، وسيندمون ولات حين مندم .

العراق — الناصرية — عبد الكريم الأمين

---

(١) أصبحت القنبلة الذرية بعد المنكر في القنبلة الهيدروجينية وسيلة قديمة من وسائل الحرب

الكون الموحي

« يجب علينا أن نحترم ذلك الستار الكثيف الذي حجب الله به عنا أسرار الكون » (نوفاليس)

استنفدت الفيزياء الحديثة جهدها في سبيل الوصول الى نهائيات الأشياء وراحت تتقصى كل ظاهرة من ظواهر الكون علها توفق يوماً الى سر المادة السابحة في الفضاء المتحررة عن جوهرها الحقيقي تائهاً في الخلاء. وكانت المادة مثار ظنون أسطورية تناقلها فلاسفة اليونان على لسان طاليس وزمرته حتى عهد أمبدقليس العسقلي الذي قال بتكوينها من أربعة أركان متفاوتة النسب : هي الهواء والماء والنار والتراب تعمل فيها قوتان متعارضتان هما قوة التجاذب وقوة التنافر، وتظهران في البشر على صورة الحب والكراهية. وكان أول من قال بالذرة هو ديقريطس الذي أعلن في شفافية وصفاء أن ليس ثمة حلاوة ومرارة وسخونة وبرودة وسواد وبياض انما ثمة ذرات وخلاء، فكان صوته أول صوت أعلن حقيقة الجوهر الفرد الذي قطع على الفلاسفة حدسهم وتخمينهم، حتى جاء دالتن وأفوجادرو ليخرجا لنا معاً بالمعنى العملي للذرة والجزيء، ولكنهما احتفظا للذرة بأحاديتها وبأنها الدقيقة العصماء والجرم الصلد الذي لا ينقسم ولا يتهشم. وكشف رذرفورد وزمرته بعد ذلك عن أسرار الذرة وتتبعوا العمليات الفذة التي قام بها طومسون ففتحوا معقل الذرة الحصين على ما نتفيأه اليوم فيها من جسيمات دوارة ذات شحنات كهربية تتراءى في التاريخ البشري على أنها لبنات الكون الأولى التي تتألف منها مادته وتشتق صورته. وكلنا يعلم أن الكهيرب (الالكترون) كان أول ما تم عن خبيئة الذرة، ودل على أسرته المتفلتة في معارج أهليلجية من الدوران الدائب الذي لا يتوقف، فتزهو في فضاء واسع يتخلل هذه الهباءة التي لم يتصورها العقل البشري دون تجريد صرف، ثم توالت غزوات الذرة وانفسحت هذه المتناهية في الصغر لارتياد العصماء وطوافهم حتى عثروا على الأويل (البروتون) والعويطب (النوترون). ثم رصدوا بعد ذلك الموجب (البوزيترون) وهو شحنة موجبة كتلتها قدر كتلة الكهيرب ثم السويلب (الميزوترون) وهو الكهيرب الثقيل عما أثار في الأذهان صورة الكون الواسع الرهيب وتجموعاته السابحة في فضاء متمدد محدود بلا حدود. ولقد دعت الصور الى الأذهان أن أطلقوا على الذرة الوليدة اسم المجموعة الشمسية المصغرة وقد ظن أن يربطوا

بينها وبين الكون المتناهي في الروعة والجلال ليطبقوا على كليهما قوانين واحدة. وكان رائدهم في ذلك عقيدة ساد العصور الوسطى في أن الطبيعة كل عاقل وأنها مقيدة بقوانين وأن كل حادث مهما تضاءل يمكن رده الى ما سبقه بطرق محددة تنبيء عن قواعد عامة وقوانين ثابتة. وكان الكون حينئذ محل أنواع متعددة من الهندسة الأقليدية وغيرها حتى ظهرت الهندسة اللاأقليدية على أيدي ليكوفسكي وريمان واينشتين أثناء تجوالهم في كون كروي بمتول نقاط وصاغوه فقسروا الجاذبية وغيرها من ظواهر الكون وعلاته تفسيرات رياضية مالية ارتقت بالذهن البشري الى مقام سام من التفكير المنزه عن الآلية المحضة والنماذج المصنوعة، وتاوهوا التفلل المريع الذي انساقت به بعض النظريات المتناقضة في طبيعتها كنظرية الأثير الى أذهان الناس وعقولهم ليزيدوا أبعاد الكون الثلاثة وهي الطول والعرض والعمق بعداً رابعاً هو الزمان الذي أدمجوه في المكان في متصل طرح صفحة الكون لتنبي عما نسجته يد القدرة الجليلة من ابداع محكم ورصعته من رشاقة وجمال.

ولكن هل انطبقت هذه النظريات الجذابة المبدعة على المادة في صورتها النهائية كما انطبقت عليها وهي محدسة في مقادير كبيرة من الكواكب السيارة والأجرام. الحقيقة انها لم تنطبق تماماً انما تفاوتت في الدقة والحكمة وقصرت في التفسير والتعليل، ولولا مصادفة عارضة أتاحها الأقدار لماكن بلانك سنة ١٩٠٠ أثناء بحثه في تشتت الطاقة الحرارية من سلك متوهج في موجات قصيرة وطويلة ومتوسطة خرج على أثرها بنظريته الرائعة في الكم أو المقدار لما تكشفت المادة عن حقيقتها الرائعة، ولما أفضت بهذا التنبيه الذي بانت تمانيه الانسانية بعد تشككها في طبيعة أصدق الأشياء في يدها وأقربها الى احساسها وتفكيرها ألا وهو المادة.

وتلخص هذه النظرية في أن الطاقة لا تنبعث في سيال انبعاثاً متصلاً بقدر ما تنبعث في قفزات أو كيات Quanta أوحت إلى الأذهان بذرية الطاقة مثلها كمثل المادة المكونة من ذرات. ولقد رجع ذلك بالتفكير إلى الضوء ونظرية نيوتن في تكونه من جسيمات لها مسارات مستقيمة مما أوقع العلماء في حيرة من أمرهم جعلتهم يرتدون الى الضوء كدقائق ويصدقونه في سلوكه كموجات. والعجيب أن العلم يتوسل بالنظريات لحل مشكلاته ويسمها على كل عقدة بات يتلمس لها حلاً. وكان هذا هو ما حدا بنيلز بوهر ليطبق نظرية الكم على الذرة فبين أن يكشف القناع عن بعض التعارض الذي نشأ عن تطبيق القوانين القائمة على الذرة وأمثالها. وكان المسلم به حسب القوانين المعترف بها وقتذاك أن الكهيربات التي تدور في الذرة تقترب من النواة شيئاً فشيئاً حتى تندمج فيها لتبعث ومضة اشعاعية

تتحرر هي الضوئية أو الصبيب (القوة ف) تفني الذرة على أثرها . ولكن فيلز بوهر قال إن كهيرات الذرة لا تتحرك كجسيمات أو أجرام في غير مدارات معينة على مسافات محدودة من النواة يدور فيها الكهير ، ولكن لا يمر خلال الفضاء الفاصل بينها ، وبذلك لا يستطيع أن يقترب من النواة أكثر من مدارها الأبعد في نفلا يتمداه . وهذا هو وجه الخلاف بين النظرية القديمة التي تقول أن الكهير يشع ومضاته أثناء الدوران ، ونظرية بوهر التي تقول أنه لا يشع طاقته إلا عند ما يقفز من مدار براني الى آخر جواني . ولكن نظرية بوهر لم تصمد أمام تقديرات رياضية مختلفة جعلتها تتوارى لتحل محلها نظرية لويس دي بروي في الميكانيكا الموجية ، وهي تقول أن الكهير ليس إلا شحنة كهربية له من خواص الجسيمات بعضها التصور الذاتي له من سلوك الموجات أكثره إذ أنه يتنقل ضمن مساحات مضطربة شديدة الاتصال به ترشده في مساره وتجعل الاحتمال في تعيين منطقة وجوده أقرب من التأكيد مما جعل الفزيائيين يسمونها موجات احتمال اندفعوا على أثرها للبحث التجريبي لاثبات ثنائية المادة بقياس أطوال الموجات وحيود الكهيرات وتصوير الومضات الناشئة عن اصطدام الجسيمات المنطلقة على حاجز حساس . ولقد ترتب على هذا تقلت الكهير وهو من بدائيات المادة من أيدي العلماء إذ بات أصعب الأشياء في دائرة بحثهم وأبعدها عن قدرتهم لأنه لا يمكن التعرف عليه في حالة انفراد بغير أن يكون في حالة تفاعل مع أجزاء أخرى من الكون يتأثر بها مهما صغرت وتناهت في الضآلة .

وكان لهذه النظرية أثران شرحنا أحدهما في مقال « مأساة فتاليوس » الذي نشرته الأهرام الغراء وهو زوال الايمان بالسببية وتداخل نظرية اللاحتمية ، في التفكير العلمي الحديث . أما الأثر الثاني فهو ما اعتبر الكون الذي يصوره العلم الحاضر وهو في أبهى عصوره وعنفوان مجده من غموض لم يكن عليه أثناء التفكير البدائي الأول مما يجعلنا نتساءل ونحن في نهاية الطريق عما كنا نتصور أننا أجبنا عليه ونحن في أوله ، ولو أيقن الناس وتمعنوا لأبصروا أن الطبيعة تلعب بنا في مفازات يتطير كل شيء فيها فتظهر السراب ينفلت ويتلاشى كل ما أحسسنا أننا قد تصناه . وها نحن لا ندرك هل نحن موجات تتشمع إلى فناء ، أم نحن نعيش في كون من الاحتمال التصرف تربطنا قرابة تنفذ اليها بصيرتنا خلال هذا التلاطم الموجي . وسبحان علام الغيوب .

دكتور رهير الملك عبد الرحمن أبو عوف
كلية طب قصر العيني — قسم الكيمياء

المصطلحات العلمية ترجمة الدكتور عبد السلام الكرداني بك والاستاذ محمد أحمد الغمراوي في كتابه (أسرار الذرة) طبع لجنة الترجمة والتأليف والنشر » .

من المسؤول؟
ترومان أم ستالين

كانت جريمة مستر والاس الذي كان وكيل رئاسة أميركا، الجريمة التي استقال بسببها، انه كان ينصح لمستر ترومان الرئيس أن يصالح ستالين رئيس روسيا وبعبارة أصح كان رأيه أن أميركا وروسيا يجب أن يعيشا في وئام حرصاً على السلام العام. ولكن ترومان الذي انفجرت القنبلة الذرية في هيروشيما بأمره وأفضت الى استسلام اليابان بلا قيد ولا شرط، ركبه الزهو والغرور كأنه هو الذي صنع القنبلة الذرية أو هو الذي اخترعها. ونفخه هذا الغرور الى استفزاز روسيا للحرب. وما زال منذ ذلك الحين الى اليوم يتبجح ويفاخر بالقنبلة الذرية ويتهدد بها الى أن عرف أخيراً واعترف أن روسيا صنعتها. ومع ذلك ما زال عرق غروره ينبض الى أن وقعت الواقعة في كوريا وأرسل جنده إليها. والى الآن روسيا لم ترسل جندياً واحداً الى كوريا. وبكل أسف لم نقرأ حتى كتابة هذه السطور إلا أن الجنوب الاميركي ينهزم أمام الشمال الشيوعي.

الى الآن لم أفهم لماذا قاومت أميركا روسيا السوفياتية النفوذ في كوريا، فأخذت على عاتقها حماية كوريا الجنوبية، وكوريا في جوار منشوريا الروسية الشيوعية، وهي على طرف من الكرة الأرضية وأميركا على طرف آخر. وترومان يجند الآن كل شبان أميركا تجنيداً اجبارياً لكي يحارب روسيا. فيمكنه أن يضم ١٥ مليوناً تحت السلاح لهذا القصد. فما الذي ندبه لهذا العمل الهائل الفظيع. ولماذا يرسل هؤلاء الشبان الأميركان الى كوريا وغير كوريا لكي يموتوا؟ ولأجل خاطر من يموتون، ولمصلحة من يموتون؟ أهكذا يخدم السلام؟ لو طاوع والاس يوم نادى والاس بوجوب مصادقة روسيا لما اضطر الآن أن يثير الحرب العوان وأن يهدد بالقنبلة الذرية والقنبلة الهيدروجينية وغيرها. وعهدنا به وبغيره من الساسة انهم يعقدون لعقد ميثاق لتحريم الأسلحة الجهنمية ضناً بأرواح العباد أن تنقرض من الأرض

يقول لك ترومان ومن أمّره وراءهم (ومعظمهم يهود) اننا مضطرون أن نفعل هكذا

لكي تصد الشيوعية وإلاَّ جرفت الشيوعية العالم كله فنحن ننقذ العالم منها . اذا كانت الشيوعية كما شاعت عنها في روسيا فاني أستغرب أن يعتنقها جميع العالم . هل جنَّ جميع الناس حتى يعتنقوا الشر الذي يؤدي بهم الى سوء المصير . اذا كانت الشيوعية في روسيا كما شاع في العالم عنها فجميع العالم يشجبها وينفر منها . ولكن الذين يبشرون بها في غير روسيا يسمون اشتراكية ماركس المعتدلة، وخطأؤنا نحن أن نسميها شيوعية وهذه الكلمة رديئة يعنى بها الاباحية . وأصلها الاشتراكية . والاشتراكية ليست اباحية ولا شيوعية انما هي نظام اقتصادي يقصد به أن يتسنى لكل شخص أن يتمتع بنتاج عمله ولا يسمح لأحد أن يثر شيئاً من تعبه . ربما كان الضمان الاجتماعي في انكلترا خير نموذج لهذا النظام الاشتراكي المعتدل . هذا هو النظام الذي سيقبله العالم ويعم فيه . وأما الشيوعية كما شاع عنها في روسيا فلا يخشى أن تعم أو أن تنتشر ، لأن العالم لا يطيقها . وإذا بحثت في كل شيوعية قامت في بلاد أخرى ليست تحت سيطرة روسيا وجدت انها ليست شيوعية روسية ما هي إلاَّ اشتراكية معتدلة عادلة حقة

فاذا كان ترومان يريد أن يتقي شر الشيوعية الروسية فليقم في اميركا النظام الاشتراكي الحقيقي مبتدئاً كما ابتدأت انكلترا بالضمان الاجتماعي . ولسوف تتورع به حتى يصير اشتراكياً بحتاً بلا ضجة ولا ضوضاء ولا اخطار اجتماعية .

الاشتراكية حتى الشيوعية لا تحتاج الى دعاية ولا إلى قوة دفاع . لكي تنتشر هي مبدأ عام اجتماعي طبيعي يدافع عن نفسه ويدعو الى نفسه . هي عدوة الاستعمار والرأسمالية المستفحلة وعصبة ترومان التي ستجلب له الخذلان انه خاضع للرأسمالية المستفحلة . وتحت نفوذ طبقة من اليهود يضحون بكل شيء حتى بأميركا نفسها في سبيل استفحال الرأسمالية والاستعمار . وأي حرب في القرن الأخير لم يقدح اليهود شررها ؟

بقيت لي كلمة موجزة في مسألة طلب ترومان من الأمم العربية ولا سيما مصر أن تؤيد قضية أميركا في حركة كوريا في هيئة الأمم . ويأبى على مصر أن تصر على حيادها، وينهددها بأن يحرض اسرائيل عليها لكي تحاربها إذا كانت لا تؤيد أميركا في هيئة الأمم .

لا يخجل هذا الخلاحل المخلخل والملطخ أن يطلب من مصر ومن الأمم العربية جميعاً أن تؤيده في هيئة الأمم وهو الذي كان عدوها الألد في قضية مصر وفي قضية فلسطين . أبعد كل ذلك الطغيان يطلب من العرب تأييداً ؟ سبحان الله .

ثم نسأل فخامة الرئيس ترومان : إذا زارتنا القنابل الذرية الروسية وما جرى مجراها باعتبار أننا خصومها فكيف نستقبلها ؟؟؟

الى خالي الراحل

الشاعرة الصغيرة
نور نافع

مهلاً ذكاء وذي الدنيا تراقبه ... نور الصباح ونشر الزهر شائبه
يا أيها الراحل الماضي إلى سفر ... وبالأزاهير قد حفت ركائبه
إذاً وداعاً لمن كانت مطيته ... ظهر المقادر والدنيا ملاعبه
إذاً وداعاً وقد خلفتنا أبداً ... وزين الركب واهتزت جوانبه
اليوم قد قام أزر الدهر معتدلاً ... إذ راح منذ انقلات الأمس (قالبه)
اليوم قد ركن الزمان وانفرطت ... حبّات سبحته وفي البحر قاربه
ونام في الرمس من كانت وسائده ... لف الحرائر في عطر يداعبه
كيف استطاب عن الدنيا وآثره ... هذا الصغير الذي حمّت غياهبه
وكيف يمضي عن الدنيا ويهجرها ... من عاش رغداً وقد ضلت متاعبه
بشره كم تمنى الناس في زمن ... لم يبله البعد أو تأتي مغاربه
كان الصغار تغنيها صبيحتهم ... وفي المساء تغنيها كواعبه
فكان أن أعمل السيف الذي حملت ... يمينه مزق العادين صائبه
يا خال : والقرب حال بين رؤيته ... وبين جلسته . والأنس صاحبه
فالصبح لا بثه والليل لا بسه ... حتى يُشيح متى غابت كواكبه
حتى استحال سواد الليل أبيضه ... ونومه قرب ما تدنو عواقبه
بين الأسى والحاب في بشر وفي طرب ... والدهر ملآن قد عيت مناكبه
ألداء أبدلها والموت ألطفها ... واليوم بالأمس قد دارت عقاربه
حييت والبعد ما بيني وبينكم ... لم يبعد صدري وما ضمت ترائبه
حييت من كبدي إن كان يا كبدي ... قد قل منك ذماء أو ذوائبه
أبقت عليك الليالي وهي باقية ... بعد التجني على الأطلال ناعبه
والله ما الصبر إلا في سواسيه ... في الناس من سيد هذي رغائبه
وثوب غرو إذا ما المرء يلبسه ... ما يلتئم بأن تبلى جلابيبه

* * *

يا دهر كل دنين أنت كاشفه ... مني وكل ثمين أنت غاصبه
أستي ربيعي مشتاقاً فتسقني ... يداك بالقصف إذ دالت مطايبه

مكتبة المقتطف

بين السطور

الاستاذ محمد عبد الغني حسن شاعر مطبوع وأديب موهوب وله جولات أدبية في بعض المجلات والجرائد فضلاً عن نفحات شعرية تدل على عبقرية ممتازة. وقد صدر أخيراً له كتاب من دار الفكر العربي درس فيه نقد بعض الكتاب العرب الحديثين وهم ساطع الحصري. عبد الوهاب عزام. أمين الخولي. احمد الشايب. قسطنطين زريق. فؤاد صروف. نجيب العقيقي. عبد المجيد نافع. عزيز سوريال الخ.

فطاف بين الأدب والنقد وفي عالم التربية والفكر بين التربية والتعليم والوعي القومي والتعليم والسلام الاجتماعي والفكر العربي بين ماضيه وحاضره. ثم سار مع الفلاسفة في التصوف وفريد الدين العطار وشخصيات ومذاهب فلسفية مختلفة وأتمها محمد عبده. وتمشى مع بعض المخطوطات المنشورة. ورسالة الامام الشافعي. وتصويبات في الذخيرة لابن سيام وقوانين الدواوين. وديوان منسوب لعمري. ثم جنح الى دنيا التراجم. فذكر أبا تمام الطائي والبحتري وأبا نواس. ثم مطالعات شتى عربية وأجنبية. فجمع هذا الكتاب محاسن الأدب الحديث حفظه الله مسجلاً لهذه المحاسن.

دنيا الناس

في هذه الدنيا روائع القصص وهي مجموعة تحتوي على ٢٥ قصة محلية وطنية ضرب بها الأستاذ نقولا يوسف مهاماً صائبة في الحياة الأدبية والأخلاقية. وقد قرأت منها قصتين البهلول والشمروز. فاذا كانت سائر القصص كهاتين فهي جديرة بأن يضيع القارىء ساعة

أو أكثر في تراثها حين يملّ شؤون الحياة ويتعب منها فهي قصص تنفس عن كربه وتروّح نفسه من هموم الحياة

وقد قدّم هذا الكتاب الى قارئيه أمير القصة في مصر الكاتب الكبير الأستاذ محمود بك تيمور صاحب الروايات والقصص الرائعة . ولولا اعجابه به لما هنّي بتقريظه

والأستاذ نقولا يوسف فياض نابغ في التأليف والترجمة وله عدّة كتب بمواضيع مختلفة وله قلم سلس العبارة متين اللغة فصيحها بليغها . وله تفكيرات فلسفية قيّمة وجولات في الحياة الدنيا . ولعله ينفحنا يوماً صوراً في الحياة الآخرة، وفقه الله .

من السماء

هذا هو الشخصيتان المتباينتان الطبيب والشاعر . كيف اجتمع الطب والشعر في شخص واحد هو الشاعر المطبوع والطبيب العلاّمة الدكتور أحمد زكي أبو شادي . أعرف هذا النابغة منذ كان يصدر مجلة « أبولّون » الشعرية معظمها من منظوماته وبعضها من منظومات أصدقائه . وأعرفه وهو يشتغل في معامل الطب والكيمياء ، وله كتاب ضخم بعنوان الطبيب والمعمل . فه كيف يجول ويصول في المعمل والمعمل يغوص في أعماق المادة حتى الذرة وهذا الغوص يستلزم ذهناً أوسع من السماء لكي يحتضن ما في السماء والأرض . وفه كيف يجول ويصول في الشعر والشعر يستلزم عقلاً فياضاً في الخيال، والخيال من مخترعات العقل المتفاعل مع الكون . فه العجب كيف اشتبك العلم والخيال » والخيال من مخترعات العقل المتفاعل من الكون . فه العجب كيف اشتبك العلم والخيال وهما في غير اتصال .

صدر أخيراً ديوان «من السماء» للنابغة الدكتور أحمد زكي أبي شادي جمع فيه ما نظمه في سبع سنين بين سنتي ١٩٤٢ و١٩٤٧ وهو بين مصر ونيويورك فقد انفصل عقله بتقاليد الشرق العربي وبستيطات الغرب الأميركي ، فطرق مواضيع أخلاقية واجتماعية وعصرية مختلفة في ١٦٥ صفحة جميلة الطبع ونفيسة الورق وصريحة الحروف ، حروف الليتوتيب في مطبعة جريدة الهدى اليومية لصاحبها العلاّمة الصحفي القدير الأستاذ سلوم مكرزل . اثابهما الله خيراً جزاء هذا المجهد العلمي الفني .

فهرس الجزء الثاني

من المجلد السابع عشر بعد المئة

٦٣ اليهود كسلالة أو شعب : السير أرثر كيث

٧٢ منابع النيل : انطون زكري

٧٧ موسم العجائب

٨١ العزلة في رأس الجبل : نقاش بين صحفي وناسك

٨٧ مدفعية البالونات القطرية ليست للحرب بل للاستعمار

٩٢ بلوطارخوس اليوناني وكتابه الترجمات والسير : احمد ابو الخضر منسي

٩٥ معجزات الزراعة العصرية وآلاتها : عوض جندي

١٠١ السنونو (قصيدة) : عدنان مردم بك

١٠٣ العروبة الجبارة : شيخ العرب مع جمال باشا

١١٠ مصر في واقع التاريخ

١١٣ تقدم الطب في عهد الفاروق العظيم : الدكتور يوسف كحيل

١١٧ نظرات في النفس والحياة نوع ش

١٢١ الحرب ضعف : عبد الكريم الأمين

١٢٤ الكون الموجي : الدكتور عبد الملك عبد الرحمن أبو عوف

١٢٧ من المسؤول؟ رومان ام ستالين

١٢٩ الى خالي العزيز : الشاعرة الصغيرة نور نافع

١٣٠ مكتبة المقتطف « بهذه السطور تدنو الكتاب من الناس »

الديموقراطية : مسيرها ومصيرها « ملحق » : لرئيس التحرير